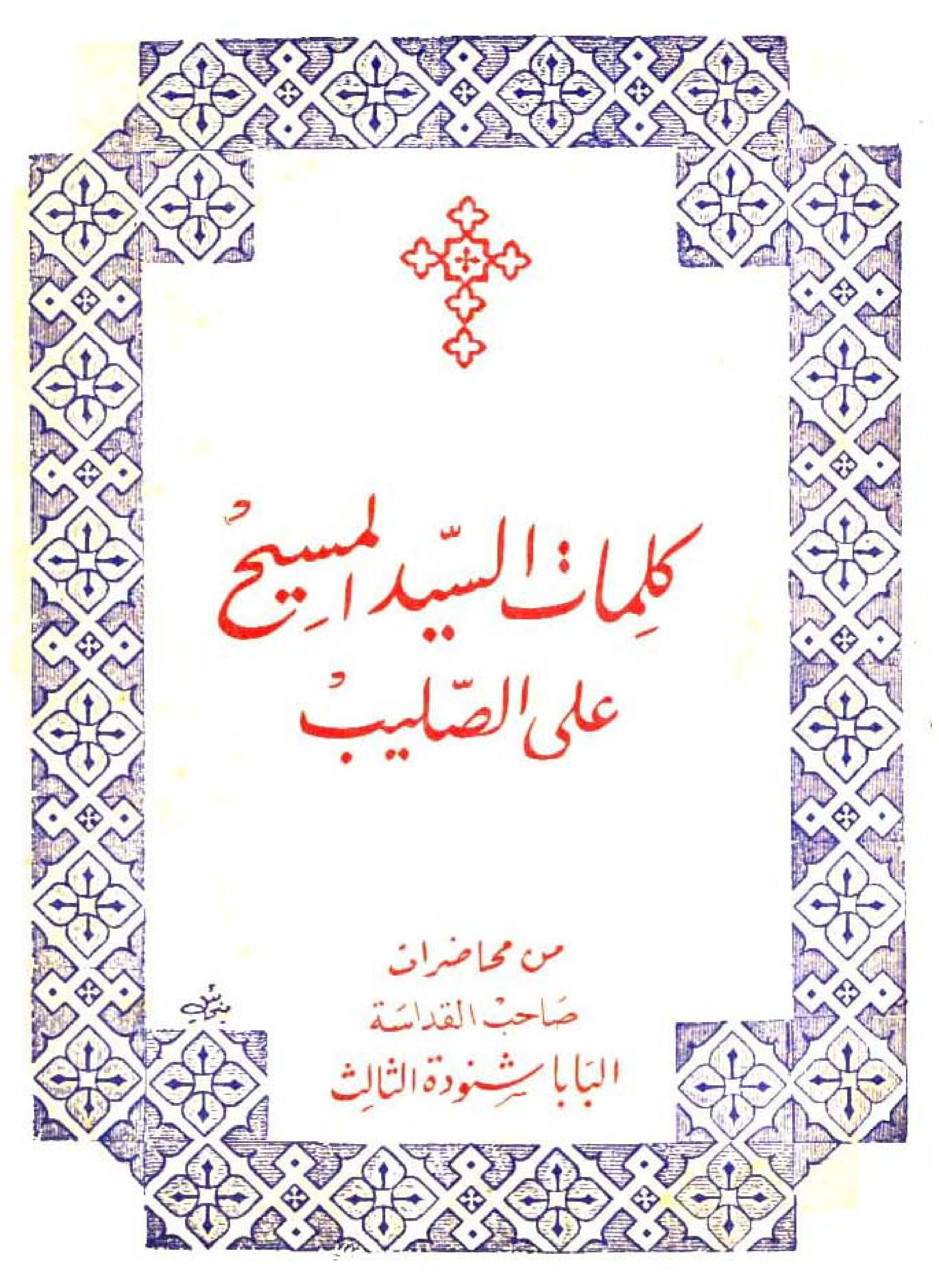
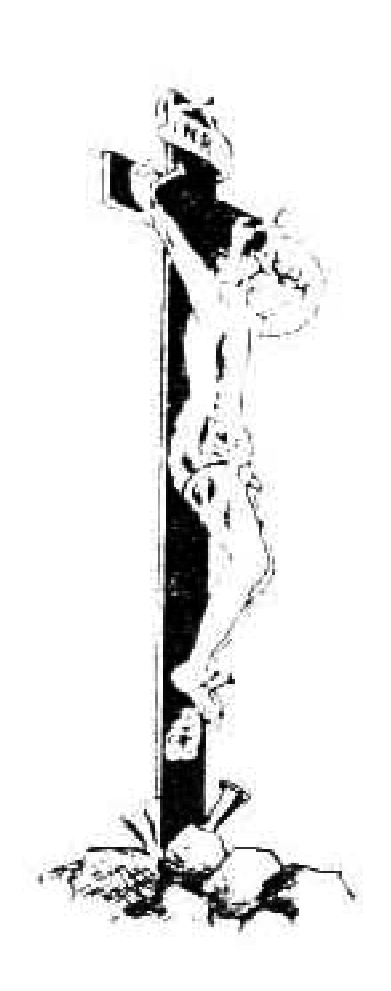
htm




كلمات السيد المسيح
على الصليب
من محاضرات
صاحب القداسة
البابا شنودة الثالث

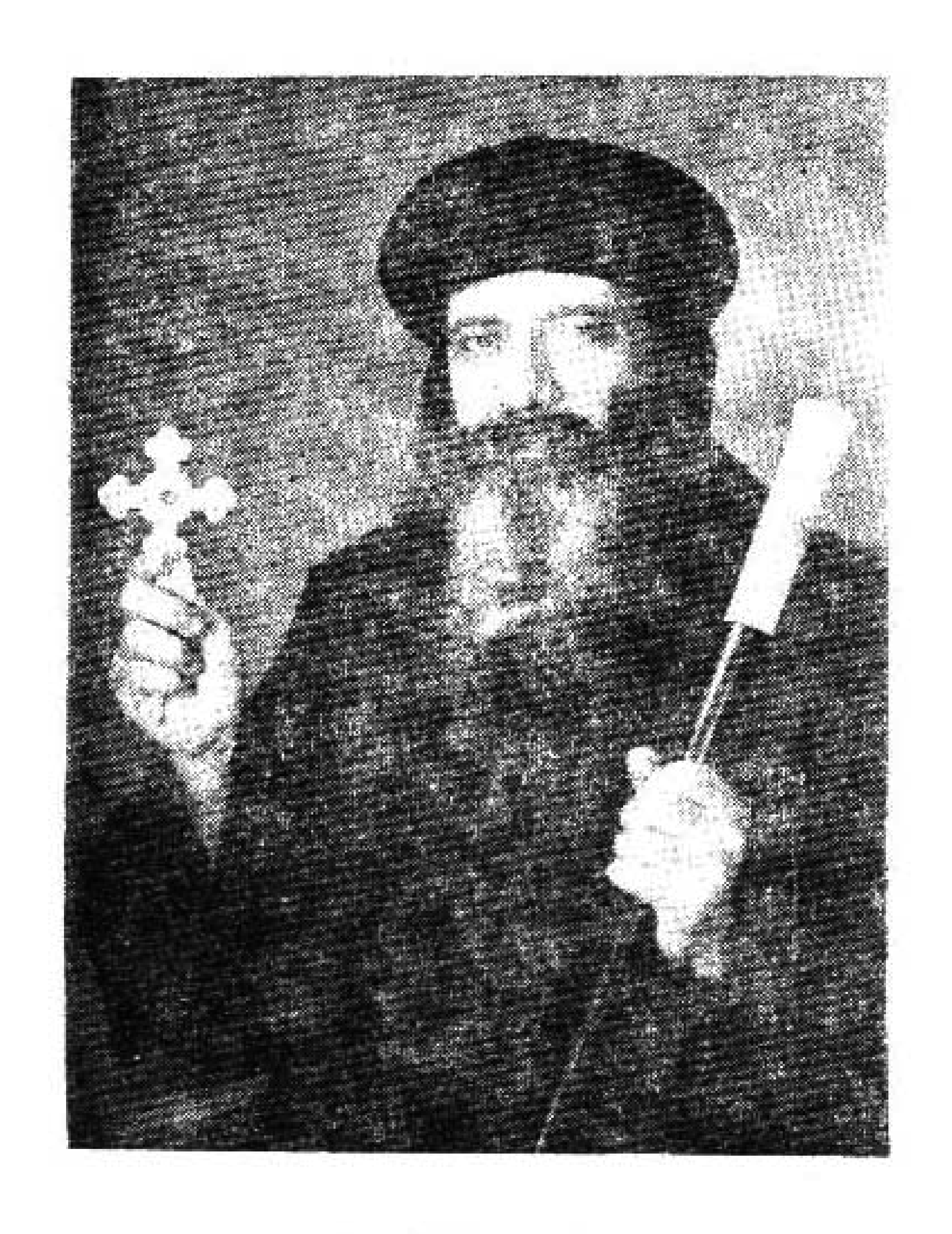


كلمات السيد المسيح على الصليب

من محاضرات
صاحب القداسة
البابا شنودة الثالث

أبريل ١٩٧٥
برموده ١٦٩١





صاحب القداسة

البابا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

كلمات المسيح على الصليب

مقدمة

إنها سبع كلمات ، لفظ بها الرب على الصليب ، فى آلامه ... وكانت كلها حياة .. لنا .

لم يتكلم أثناء المحاكمات ، ولا أثناء التعذيب والاستهزاء الا نادرا . كان يغلب عليه الصمت ... لقد تنازل عن حقه الخاص ، وكرامتـــه الخاصة . « فالمحبة لا تطلب ما لنفسها » (١ كو ١٣ : ٥) .

أما على الصليب ، فتكلم ، حين وجب الكلام . تكلم من أجلنا ، لنفعنا وخلاصنا . وكان لكل كلمة هدف ومعنى . ولكل كلمة تأثير .. وسندخل فى أعماق كل هذا بعد حين .. على أننا نلاحظ على كلماته بوجه عام عدة ملاحظات ، منها :

نلاحظ فى كلمات المسيح على الصليب عنصر العطاء .. عجيب أنه — وهو على الصليب — فى مظهر الضعف والانهزام كان يعطى .. أعطى لصالبيه المغفرة ، وأعطى للص اليمين الفردوس ، وأعطى للعذراء إبناً روحياً ورعاية واهتماماً ، وأعطى ليوحنا الحبيب بركة العذراء فى بيته . . وأعطى للآب ثمن العدل الإلهى الذى يتطلبه ، وأعطى للبشرية كفارة وفداءا ... وأعطانا أيضاً اطمئنانا على تمام عمل الخلاص ... أعطى لكل أحد . وهو الذى لم يعطه أحد شيئاً ... قدم للبشر كل هذا ، فى الوقت الذى لم يقدموا له فيه سوى مرارة وخل ...

وكلمات المسيح السبع ، كان أولها وآخرها موجها الى الآب .
كانت أول كلمة موجهة إلى الآب فى قوله « يا أبتاه ، اغفر لهم » .
وآخر كلمة موجهة إلى الله الآب فى قوله « يا أبتاه فى يديك أستودع روحى » . وبين الأول والآخر كانت هناك كلمتان أيضاً موجهتين إلى الآب : إحداهما « إلهى إلهى لماذا تركتنى » . والثانية « قد أكمل » .
ومع أنها قد تكون إعلانا عاما ، إلا أنها تحمل خطابا إلى الآب أى « العمل الذى أعطيتنى لأعمله قد أكملته » . . .

غالبية كلمات المسيح إذن أو نصفها ، كانت موجهة إلى الآب .
وكانت تحمل طمأنينة للبشر .

ونلاحظ أنه فى كلامه مع الآب استعمل التعبيرين : « يا أبتاه » و « الهى » : فى عبارة « يا أبتاه » رد على الذين كانوا يتحدونه قائلين « إن كنت ابن الله ... إنزل من على الصليب » . فأثبت أنه ابن الله .
ولكنه لم ينزل من على الصليب ، وإنما رفع الصليب إلى علو السماء . . .

فى عبارة يا ابتاه أثبت لاهوته ، وفى عبارة « الهى » أثبت ناسوته .
ومن كليهما معاً أعلن أنه الإله المتأنس ، الله الذى ظهــــر فى الجسد (١ تى ٣ : ١٦) . فى عبارة « يا أبتاه » شجب الهرطقة الاريوسية التى أنكرت لاهوته فى القرن الرابـع . وفى عبارة « إلهى » شجب هرطقة أوطيخا الذى أنكر ناسوت المسيح فى القرن الخامس ... فى الأولى تكلم كابن الله ، وفى الثانية تكلم كابن الإنسان ، كنائب عن البشر . .

ولم يتكلم على الصليب مع الآب فقط ، وانما مع البشر أيضاً ...
مع القديسين ممثلين فى السيدة العذراء وفى يوحنا الرسول ... ومع
الأشرار التائبين ممثلين فى **اللص** اليمين ...

وكانت كلماته كلمات بركة ونعمة ... لقد كانت ساعة للخلاص .
وكانت تليق بها البركة . لذلك تكلم بكلام المغفرة والخلاص والفردوس ،
وبكلام الحب والنعمة .. وعلى الصليب لم يلعن أحداً ، ولم يعاقب أحداً .
على الرغم من كل الذى وقع عليه ... إنه لم يأت ليهلك العالم ، بل
ليخلص العالم .

ونلاحظ فى كلماته على الصليب ترتيبا خاصا لا تخفى حكمته ...
غيره أولا ثم نفسه . ونفسه من أجل غيره . بدأ أولا بطلب المغفرة
للناس . لأنه على الصليب بدأت فاعلية دمه المقدس فى الغفران ... وإذ
فتح باب المغفرة ، جاءت الكلمة الثانية الخاصة بفتح الفردوس . لأنه
إذ يدفع الدم ثمناً للمغفرة يمكن فتح الفردوس ...

نلاحظ أيضاً أن السيد المسيح ذكر أعداءه أولا ثم أحباءه . كلامه
الأول خاص بصالبيه ، ثم باللص ، ثم بالعذراء ويوحنا ...

وفى حديثه مع الله **الآب** ، كلمه أولا كأب ثم كإله ... أولا كالابن
المحبوب الكائن فى حضن **الآب** منذ الأزل (يو ١ : ١٨) ، ثم كابن
الإنسان المولود فى ملء الزمان ...

كلماته الثلاث الأولى كانت خاصة بالمغفرة والرعاية . وكلماته الأربع الأخيرة كانت اعلانا لعمل الفداء واتمامه :

فعبارة « إلهى إلهى لماذا تركتنى » تعنى أن الآب قد تركه ليدفع ثمن الفداء وتعنى آلامه النفسية من جهة تحمل غضب الله على خطايا البشر . وعبارة « أنا عطشان » تعنى إعلاناً للآلام الجسدية من أجل البشر . وكلا العبارتين تعنيان أنه يدفع الثمن . وعبارة « قد أكمل » فيها طمأنة للإنسان أن الثمن قد دفع . وعبارة « فى يديك أستودع روحى » تعنى الموت ثمن الخطية ، وبه يكون قد تم الخلاص ... إذن فهذه العبارات الأربع الأخيرة تحمل طمأنينة للبشر من جهة فدائهم ...

ونلاحظ أن الكلمتين الأخيرتين فيهما هتاف الفرح والانتصار ...

كما أعلن الرب ألمه الذى به تم الفداء . أعلن أيضاً فرحه بإتمام الفداء . فعبارة « قد أكمل » تحمل معنى أن كل شىء خاص بالفداء قد تم . لقد فرح الرب بإتمام عمله ولم يسمح لشىء أن يعوقه . ونفس الكلام نقوله عن عبارة « فى يديك أستودع روحى » . بهاتين العبارتين أعلن هزيمة الشيطان . لقد انتهت المعركة . واستطاع الرب بالموت أن يبيد سلطان الموت ... وهتف هتاف الفرح والانتصار .

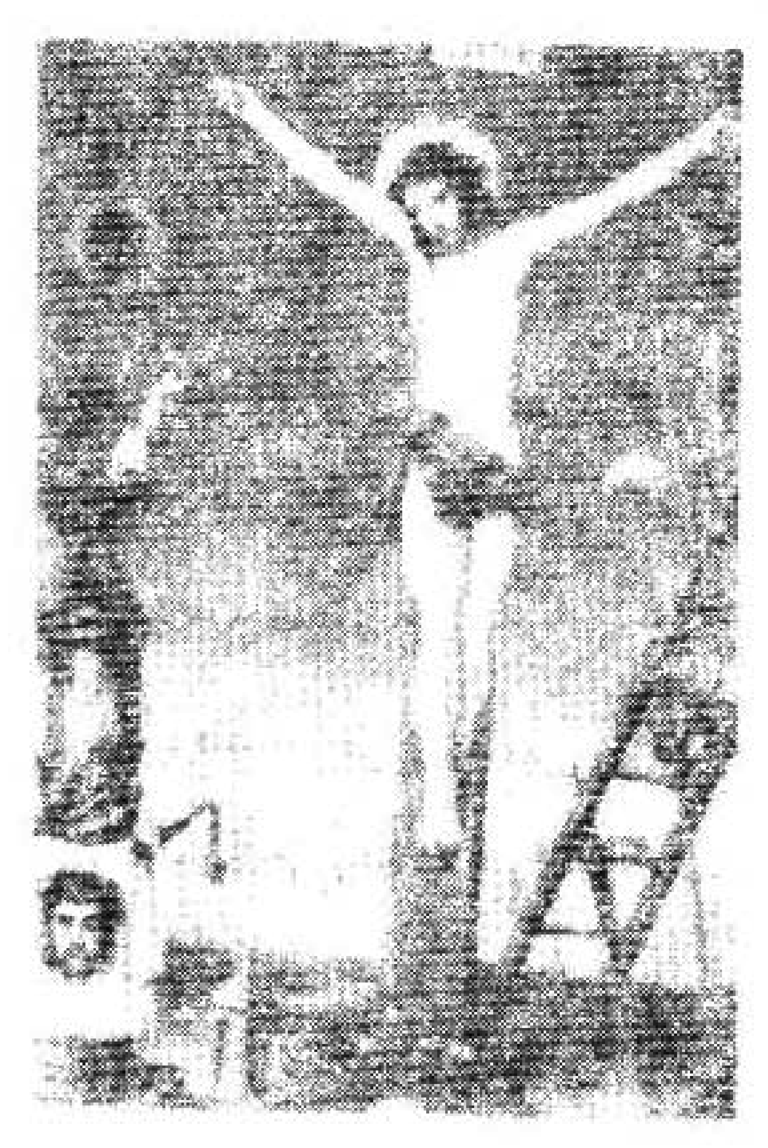
كل هذا يعطينا فكرة أن المسيح على الصليب، كان يعمل، لاجلنا... ليس فقط عمل الفداء . وإنما كان على الصليب - كعهده - يصنع خيراً ...

كان معلما ، وكان يعلن إعلانات هامة لأجل الخلاص ...

فى كلمته الأولى أعطانا تعليما عملياً عن التسامح والمغفرة ومحبة الأعداء ... وفى كلمته الأخيرة « فى يديك أستودع روحى » ، أعطانا تعليما عن خلود النفس ، وانتقال الروح البارة بعد الموت إلى الله .

وفى كلمته الثالثة أعطانا تعليما عن الرعاية الحقة ، وعن التنفيذ الصادق العملى للوصية الخامسة ... بإكرامه لأمه .

ما أكثر التعاليم والتأملات التى نجدها فى هذه الكلمات السبع ، التى يرمز عددها الى الكمال ... فلننتقل الآن اليها ... وندخل الى أعماقها واحدة فواحدة .



الكلمة الأولى

يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون (لوقا ٢٣: ٣٤)

المسيح الهنا الحنون - وهو فى عمق الآلام على الصليب - كان منشغلا بغيره لا بنفسه . لم يذكر آلامه ولا تعبه ولا جراحاته . لم يأبه لآلام السياط على ظهره ، ولا بارتكاز المسامير فى يديه وقدميه ، ولا بوخز الشوك فى جبينه ورأسه ، ولا بجسده المرضض المنهك ... وإنما ترك كل ذلك جانباً ، وكان كل ما يشغله هو محبته للبشر وأول ما فكر ، فكر فى إنقاذ كارهيه وصالبيه ... وهكذا كانت أول كلمة قالها على الصليب هى « يا أبتاه أغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » (لو ٢٣ : ٢٤) ...

وقد اهتم الرب بأعدائه أولا ، قبل أحبائه وقبل نفسه ... فغفر أولا لصالبيه ثم غفر للص الذى عيره أولا وآمن أخيراً . ثم أبدى اهتمامه بأمه . وبعد كل ذلك تكلم عن نفسه ...

« يا أبتاه أغفر لهم » قالها وهو فى منتهى الألم الجسمانى ... كان حقاً فى عمق المقاساة من هؤلاء الذين يطلب لهم الغفران!.. ولكن محبته لهم، كانت أكثر من عداوتهم له ، عداوتهم التى لا توصف ، من عمق بشاعتها ...

ومع ذلك لم يطلب لهم الغفران فقط ، وإنما أيضا التمس لهم عذرا !

هؤلاء الذين كانوا لا يجسرون أن يفكروا فى عذر لأنفسهم . والذين صاحوا فى جرأة مخبولة « دمه علينا وعلى أولادنا » (متى ٢٧ : ١٥) ، هؤلاء استطاع المصلوب المجروح منهم أن يوجد لهم عذراً. فقال «لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » ... ما أعجب الرب فى محبته : إنه لم يصب عليهم اللعنات ، ولم يطلب النقمة منهم . بل أيضاً لم يصمت ويأخذ منهم موقفاً سلبياً ... وإنما كان حبه إيجابياً من ناحيتهم ، فطلب لهم المغفرة ، وقدم عنهم عذراً ، مدافعاً عنهم أمام الآب السماوى، معلناً أن خطيئتهم هى مجرد خطية جهل ...

إننا نحن البشر نقول أن فعلتهم هى مجموعة من الخطايا البشعة ... أنها خطايا حسد وغيرة وكراهية ودس ووقيعة من الرؤساء الدينيين ، وخطايا اندفاع ونكران جميل من الشعب الجاحد ، وخطايا قسوة واستهزاء وشتائم واعتداء وإهانة من الجند وخدام الكهنة ، وخطايا جبن وظلم ولا مبالاة من بيلاطس . وفوق كل ذلك هى خطية قتل ، وخطية تعذيب ، وخطايا كذب وتلفيق فى المحاكمة ... أما المصلوب الحنون الطيب فلم يذكر سوى أنها خطية جهل ، « لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون »! . ما أعجب طيبة قلبك أيها المحبوب المصلوب إن أعماق هذه الطيبة هى فوق إدراكنا ...

ان السيد المسيح فى غفرانه لصالبيه، قد قدم مثالا عمليا لتنفيذ وصاياه.

لقد قال من قبل « أحبوا أعداءكم ، ... أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا

لأجل الذين يسيئون إليكم » . وها هو ذا ينفذ بنفسه ما سبق أن أوصى به الناس . أن الرب لا يعطى وصايا للآخرين ، ولا ينفذها بنفسه . لقد نفذ هذه الوصية « محبة الأعداء » ، ونفذها عملياً ، فى عمق وفى مثالية عجيبة ... فغفر لصالبيه ومضطهديه والمسيئين إليه ...

وأنت أيها الأخ المبارك ، ما هو موقفك من هذه الآيه « يا أبتاه اغفر لهم » ؟... يا ليتك عندما تسمع هذه العبارة فى يوم الجمعة الكبيرة، وعندما تتذكرها فى أى وقت ، تقول فى صدق : « وأنا أيضاً يارب ، سأفعل مثلك : كل الذين أبغضونى وأغضبونى ، كل الذين أتعبونى واضطهدونى، كل الذين ضايقونى وأساءوا الى، اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » ...وهكذا يا أخى تشترك مع المسيح فى عمله وفى حبه...

ماذا تستفيد أنت ان كان المسيح قد غفر لأعدائه وأنت لم تغفر؟!
ماذا تستفيد ان كان المسيح قد أحب أعداءه بينما أنت لا تحب أعداءك، ولا تسامحهم ؟! ماذا تستفيد ؟... إذن فأنت لم تشترك مع المسيح فى عمله ، ولم تسلك فى صفاته ...

اعلم اذن أن المسيح قد غفر لنا ، لكى نغفر نحن أيضا لغيرنا ، ونتمتع ببركة المغفرة .. التى تأتى الينا ، والتى تصدر منا ...

كلما نتذكر اساءات الناس إلينا ، فلنقل نحن أيضاً من أعماق أعماقنا « اغفر لهم ، **لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون**». غير أننا عندما نقول هذا، يختلف موقفنا عن موقف السيد المسيح : انه يقول : **يا أبتاه اغفر لهم،**

لأنى قد دفعت ثمن خطيئتهم . من أجل هذا لم يبق عليهم دين . أنا قد وفيت العدل الإلهى ، وسددت كل ديونهم فاغفر لهم إذن . هو ذا أنا أموت عنهم. هو ذا أنا أموت عن الذين صلبونى، وعن الذى يحبوننى... وعندما أقول « اغفر لهم » لست أقصد هؤلاء فقط ، وانما كل الذين يحتمون فى دمى... كل الخطاة الذين تابوا من آدم إلى آخر الدهور... اغفر لهم ، لأنى لهذا جئت (يو ١٢ : ٢٧)...

واحد من هؤلاء الذين انطبقت عليهم عبارة «لا يدرون ماذا يفعلون» ، هو القديس العظيم الانبا لونجينوس الجندى الذى طعن المسيح بالحربة.. هذا القديس تعيد له الكنيسة المقدسة فى يومين: فى اليوم الثالث والعشرين من شهر أبيب ، وفى اليوم الخامس من شهر هاتور... انه طعن المسيح بالحربة ، ولم يكن يدرى ماذا يفعل ، فغفر الرب له . ولم يكتف بهذا ، بل اقتاده إليه أيضاً ، فآمن وبشر بالمسيحية فى بلاد كبادوكية ، ونال أكاليل الشهادة على يد طيباريوس قيصر ، وأظهر الرب كرامته بمعجزات بعد موته ...

هناك قديس آخر تنطبق عليه عبارة « لا يدرون ماذا يفعلون » ، كان وحشا ضاريا فى محاربة المسيحيين وفى تعذيبهم وقتلهم . إن قلنا إن أكثر انسان اضطهد المسيحيين هو الامبراطور ديوقلديانوس، فان هذا كان الساعد الأيمن لديوقلديانوس فى عملية التعذيب ... كان جباراً مرعباً ، ولم يوجد فى كل ولاة الامبراطورية الرومانية من هو أشد منه وأعنف... كانوا يرسلون إليه كل من يتعب الولاة فى تعذيبه

من المسيحيين ، فيعامله بقسوة وبفنون جديدة فى التعذيب لا يعرف للرحمة اسما ولا معنى ...

هذا الرجل هو القديس اريانوس والى انصنا(*) **الذى سفك دماء عشرات الآلاف من المسيحيين ،** بل قتلهم فى وحشية ، وهو لا يدرى ماذا يفعل ... وظل هكذا لا يدرى حتى جذبه المسيح إليه ، فآمن به ، واستشهد على اسمه فى اليوم الثامن من شهر برمهات على يد الامبراطور ديوقلديانوس وكتب اسمه فى السنكسار، وأصبحت الكنيسة تحتفل بعيده مثل باقى القديسين العظماء ...

شاول الطرسوسى كان ايضا واحدا من الذين لايدرون ماذا يفعلون ... كان يقتحم الكنائس ويقتاد رجالا ونساءاً إلى السجن (أع ٨ : ٣)... وقد اشترك فى اضطهاد القديس استفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء (أع ٧ : ٥٨) ... وكان مرعباً ومخيفاً . . ومع ذلك لم يكن يدرى ماذا يفعل ... وظل هكذا حتى ظهر له رب المجد فى الطريق إلى دمشق ، ووجده اناءاً مختاراً ... واجتذبه إليه فآمن ، واعتمد ، وصار اسمه بولس الرسول ، وبشر باسم المسيح ، وتعب أكثر من جميع الرسل ، ووقعت عليه اضطهادات وأتعاب أكثر من جميعهم، ونال أكليل الشهادة على يد الامبراطور نيرون ، وأصبح عموداً من أعمدة المسيحية، ومنارة من مناراتها العالية المضيئة ... ترى ماذا كان سينتهى إليه مصير قديسنا

(*) هى حالياً قرية الشيخ عبادة مركز ملوى بمحافظة المنيا .

بولس ، لولا قول المسيح الحنون « يا أبتاه اغفر لهم ، **لأنهم لا يدرون** ماذا يفعلون » ...

« يا أبتاه اغفر لهم » . أنا لا أريد أن أنتقم من أحد ... لا أريد أن أعاملهم بالمثل . إن بعضاً من هؤلاء الذين صلبونى **انا ماض لأعد لهم مكانا** . ومتى أعددت لهم مكانا ، آتى وآخذهم إلى ، حتى حيث أكون أنا يكونون هم أيضاً (يو ١٤ : ٣) .

على أن قول السيد المسيح « يا أبتاه اغفر لهم » ، لا تعنى أنه غفر لجميع صالبيه على الاطلاق ، بلا استثناء ... فلا يمكن أن يتمتع بالمغفرة - من صالبيه وغير صالبيه ، إلا من ينطبق عليهم شرطان جوهريان ، هما الإيمان والتوبة ... لأنه بدون الإيمان والتوبة ، لا يمكن أن ينال أحد خلاصاً ولا مغفرة ...

يا ابتاه اغفر لهم . للذين يؤمنون ويتوبون .

لقد قال الكتاب « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد » ... أحب العالم كله ، وبذل الابن لأجل العالم كله . ولكن هل تمتع العالم كله بالخلاص ؟ كلا ، فخلاص المسيح لم ينله إلا « كل من يؤمن به » ... لذلك قيل فى باقى الآية « لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . هذا هو شرط الايمان ... أما عن شرط التوبة فيقول عنه الرب « إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣) .

وهكذا فان عبارة « اغفر لهم » ، لا تعنى المغفرة ليهود اليوم ... لأنهم ما يزالون باقين على يهوديتهم ، فى إنكارهم المسيح ، وفى إنكارهم لبتولية العذراء ، وفى اعتقادهم أن يسوع الناصرى الذى ولد منذ ١٩٧٥ سنة كان ضالا ومضلا ، فاستحق أن يصلبه آباؤهم . وبهذا يشتركون فى خطية آبائهم بموافقتهم لهم على ما فعلوه ... ويستحقون الدينونة .

أما إن تابوا وآمنوا ، وصاروا مسيحيين ، فإن الرب يغفر لهم ، وعندئذ لا يدعون يهودا بعد ...

إن السيد المسيح قد قدم خلاصاً للعالم كله . ولكن لا يتمتع بهذا الخلاص سوى المؤمنين التائبين السائرين فى طرقه ، المتمتعين بعمل الروح القدس فى أسراره .

هؤلاء المؤمنون التائبون ، اغفر لهم يا أبتاه ... أما الباقون الذين أصروا على عنادهم ، فهؤلاء قال لهم المسيح « حيث أكون أنا ، لاتقدرون أنتم أن تأتوا » (يو ٧ : ٢٤). وقال لهم أيضاً « ستطلبوننى وتموتون فى خطيتكم ... إن لم تؤمنوا انى أنا هو ، تموتون فى خطاياكم » ... ثلاث مرات فى الاصحاح الثامن من الانجيل لمعلمنا يوحنا الرسول يقول لهم « ان لم تؤمنوا بى ، تموتون فى خطاياكم » (يو ٨ : ٢١ ، ٢٤) .

أما الذين فيهم بارقة أمل ، ولو من بعيد ، فهؤلاء مهما أخطأوا إليه ومهما اضطهدوه ، ومهما طردوه ، فانه يظل يردد فى سمع الآب ، تلك العبارة الجميلة « يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » .

من بين هؤلاء الذين طردوه ورفضوا ان يدخل تخومهم، اهل السامرة.

وتحمس تلميذاه يعقوب ويوحنا، وطلبا إليه أن يأمر فتنزل نار من السماء فتفنى هؤلاء الذين طردوه. أما هو فأجاب تلميذيه قائلا « لستما تعلمان من أى روح أنتما. لأن ابن الانسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص » (لو ٩ : ٥٢ - ٥٦). هذا ما قاله لتلميذيه. أما للآب. فلا شك أنه قال نفس العبارة « يا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون »... وهكذا صبر عليهم حتى عرفوه، فأحبوه، وآمنوا به (يو ٤ : ٤٢).

ان عبارة « يا أبتاه اغفر لهم » تحمل عمق الحب، وعمق المغفرة.

ولكى تسبر أعماقها، تصورها بالنسبة إلى نفسك...

قد تستطيع أن تغفر لإنسان أتعبك... أما أن يلفق إنسان حولك تهماً، ويحكم عليك ظلماً، ويثير عليك الشعب والحكام، ويهزأ بك، ويجلدك، ويعلقك على صليب، ويدق المسامير فى يديك وقدميك.. ثم بعد ذلك - وأنت فى عمق الألم - تستطيع أن تغفر له، وتصلى لأجله، وتدافع عنه... فهذا يحتاج إلى حب فوق الطاقة، وفوق العادة...

كثيرون آمنوا بالمسيحية من اجل هذه العبارة وحدها ...

يا أبتاه اغفر لهم... لأنى من أجل هذا جئت... هذا هو العزاء

الذى يفرح قلبي وسط كل آلام الصليب ، وكل آلام الهزء ، وكل آلام التخلى ...

إنهم مغلوبون من خطاياهم ، مغلوبون من عمـــل إبليس فيهم ، ومغلوبون أيضاً من ضعف إرادتهم ومن جهلهم شعورى نحوهم ، هو شعور إشفاق .. لست أذكر ما يعملونه فى ، فالمحبة لا تطلب ما لنفسها ، إنما أذكر أمامك حاجتهم إلى المغفرة ...

اغفر لهم ، لأنك بهذا تفرحنى ، اذ أكون قد تممت رسالتى وحققت هدفى ...

حقاً ، لماذا تجسد المسيح ؟ أليس من أجل أن الآب يغفـــر لهؤلاء ؟ . لماذا أخذ شكل العبد ، وصار فى الهيئة كإنسان (فى ٢ : ٧) ؟ أليس لكى يغفر لهم ؟ ... لماذا حمل خطايانا ؟ لماذا علق على خشبة ؟ كل هذا بلا شك لكى يغفر لهم ...

ان هذه العبارة هى بداية عهد الغفران ، ليس الغفران الموعود به ، وإنما الغفران المدفوع ثمنه ... إنها إعلان بأن العدل الإلهى قد استوفى حقه على الصليب ... إنها صك ... إنها حق المشترى الذى دفع الثمن ويريد أن يستلم ... أنه اشترانا بدمه ، وبقى أن يأخذنا معه ، لكى ندخل الفردوس معه ، ونتمتع بالملكوت معه ، وحيث يكون هو نكون نحن أيضاً ...

وكأنه بهذه العبارة يقول للآب : ماذا تريد من هؤلاء ؟ ما هو دينك عليهم ؟ أليس هو الموت ، أجرة الخطية ؟ هوذا أنا أموت عنهم . هوذا أنا أوفى دينك عليهم . أطلقهم إذن من حكم الموت . إنك تأخذ الآن حقك بالتمام ... وبعد قليل سأقول لك « قد أكمل » . فاغفر لهم ...

ان السيد المسيح بهذه العبارة يعلن انتصاره على الشيطان . كل جهاد الشيطان كان فى إبعاد الناس عن الله ، وفى إبعادهم عن المغفرة، وفى عرقلة طريق الخلاص قد فتح للناس ، واستطاع الرب المجروح لأجل معاصينا أن يرش دمه على الخيمة فيقدسها ...

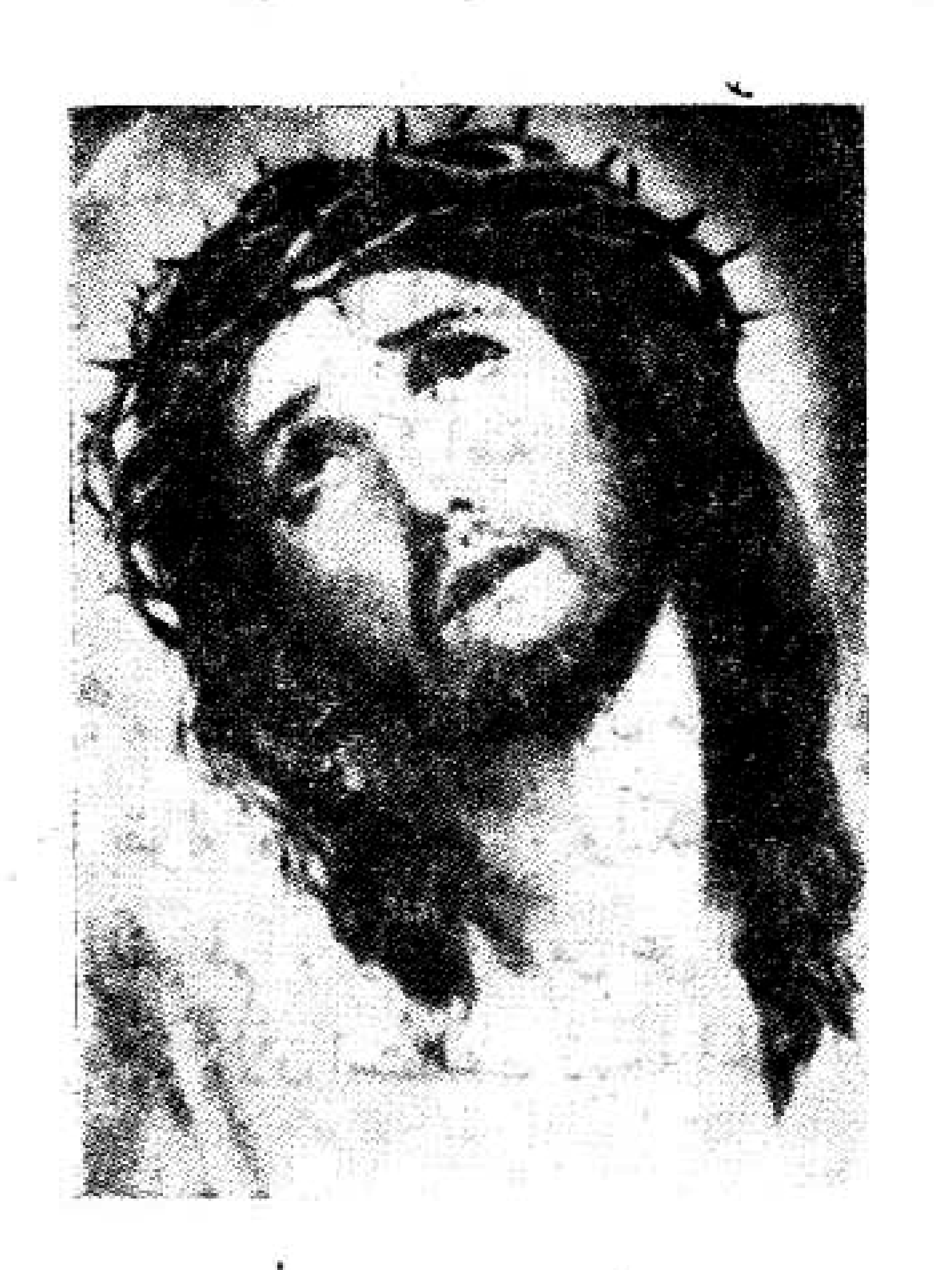
لقد انتصرت محبته على كراهية الناس ، وانتصر تواضعه على كبرياء الشيطان ...

كانوا يقولون له إن كنت ابن الله انزل من على الصليب . أما هو فأعلن أنه الإبن بقوله « يا أبتاه » . ولكنه وهو الإبن سيبقى على الصليب ، لكى يغفر لهم . ولو نزل من على الصليب ما استطاع أن يقول ، اغفر لهم ... الآن استطاعت ذبيحة الحب أن تؤدى عملها فى المغفرة ...

عبارة يا أبتاه اغفر لهم ، هى العبارة التى كان يشتاق لسماعها كل الراقدين على رجاء من بدء الخليقة كلها . إن كان هكذا قد أحب

الرب صالبيه ومقاوميه وغفر لهم ، فكم تكون بالحرى محبته لأحبائه ومريديه ، وكم يكون عمق غفرانه وسمو مكافأته ...

إنها عبارة أذهلت كل الجنود المحيطين بالصليب . وأذهلت أيضاً اللص اليمين الذى توجه إليه الرب بكلمته الثانية « اليوم تكون معى فى الفردوس » ...



يا أبتاه اغفر لهم

الكلمة الثانية

الحق أقول لك

إنك اليوم تكون معي في الفردوس (لوقا ٢٣: ٤٣)

أول انسان خاطبه الرب عل الصليب ، كان هو هذا اللص ... لم يبدأ حياته باراً ، بل صحبته الخطية حتى إلى الصليب . وكان وهو مصلوب يعير الرب ، مشتركا فى ذلك مع اللص الآخر (متى ٢٧: ٤٣) . ثم تغير فجأة ودخل الإيمان إلى قلبه ، فانقلب من معير إلى مدافع ... ومن مستهزىء إلى رجل صلاة وإيمان .

كيف وصل الى هذا الايمان، والى هذا التجديد ؟ كيف آمن بالرب، والرب فى آلامه لا فى مجده ، فى استهزاء الناس به وليس فى سعيه إليهم طلباً للشفاء والبركة ؟

لعل مغفرة الرب لصالبيه ، أثرت فى اللص القاسى القلب هذا التأثير العميق . وإذا بلطف الله يغلب قسوته . . أو لعله تأثر من وجه المسيح نفسه ، من ملامحه ، ومن نظرته ، ومن حنان وعمق صوته . ولعل الرب نظر إليه ، فأذاب قلبه ... لسنا ندرى ...

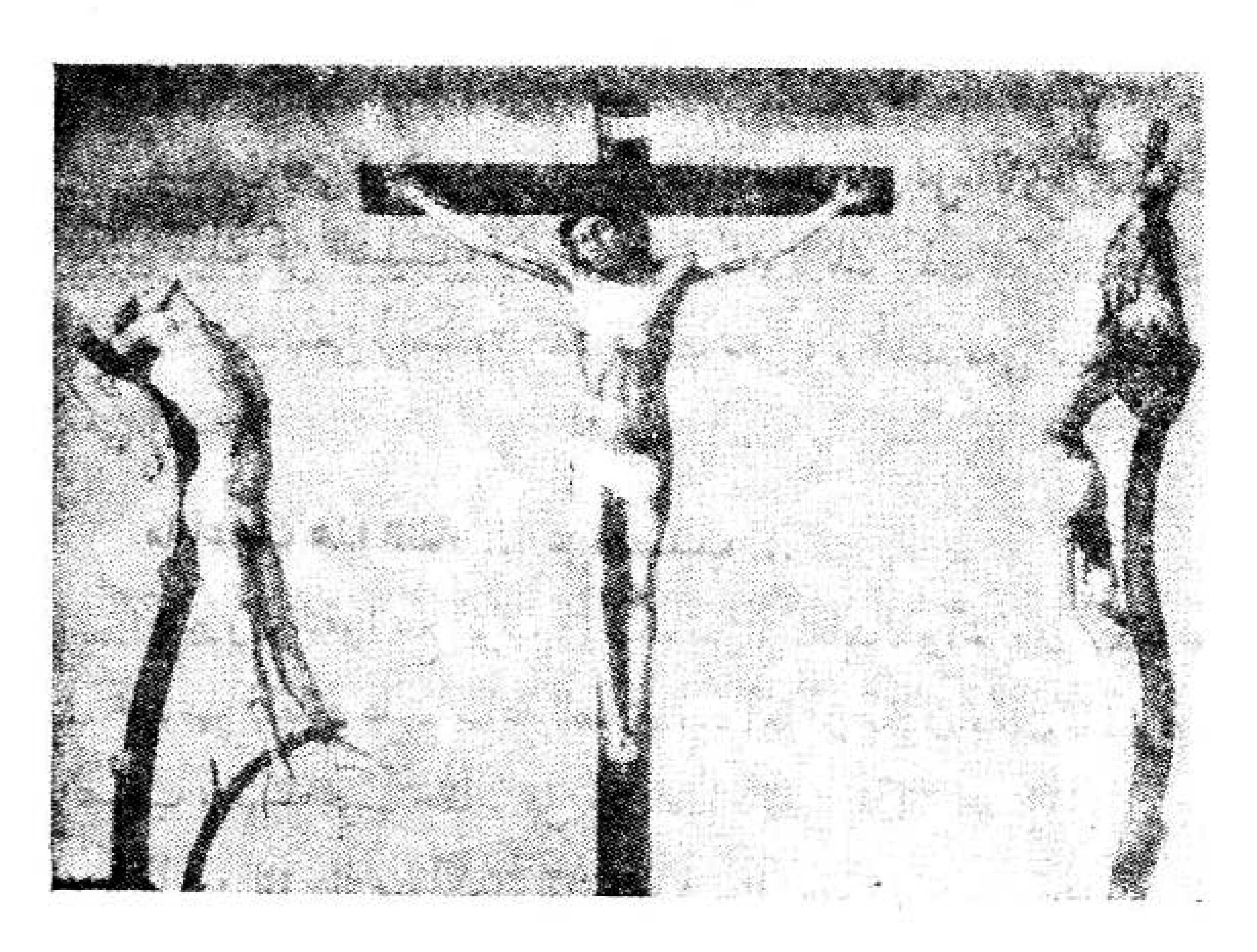
أو لعل هذا اللص كان عنده استعداد داخلى للتوبة ، كان أرضاً صالحة لم تجد بعد من يفلحها ، وينقيها من أشواكها ، ويبذر فيها البذار الصالحة ، فتنبت نباتاً حسناً ...

لقد استطاع هذا اللص أن يصل إلى المسيح مع أصحاب الساعة الحادية عشرة، أو فى الساعه الثانية عشرة. **فصل صلاة، واستجيبت بأسرع ما تكون الاستجابة ...** كثيرون كانت لهم صلوات طويلة، بابتهالات وطلبات وتضرعات وعرق ودموع ... أما هذا اللص فبعبارة واحدة، قصيرة، مركزة عميقة، استطاع أن يحصل على كل شيء ... وأصبحت صلاته هذه مصدر تأملات الكثيرين، ترددها الكنيسة كلها معه، وقد تعلمتها من هذا اللص العجيب ...

هذا اللص الوحيد الذى أجابه المسيح بسرعة، بينما غيره كثيرون لم يرد عليهم الرب بكلمة واحدة ...

تصوروا أن السيد المسيح لم يرد على كثيرين طول مدة المحاكمة والتعذيب والصلب ... «لم يفتح فاه، كشاة تساق إلى الذبح. وكنعجة صامتة أمام جازيها، فلم يفتح فاه» (أش ٥٣ : ٧) ... لم يرد على قيافا رئيس الكهنة إلا بعد أن استحلفه بالله الحى (متى ٢٦: ٦٣، ٦٤). وبيلاطس الوالى الذى حاكمه كان متعجباً جداً من صمته (متى ٢٨: ١٤). كثيرون استهزأوا به، فلم يرد عليهم. شتموه، فلم يرد عليهم. تحدوه وقالوا له «إن كنت ابن الله أنزل من على الصليب» (متى ٢٧ : ٤٠) فلم يرد عليهم كذلك. اللص اليسار نفسه المصلوب إلى جواره كان يعيره ويتحـــداه قائلا «إن كنت أنت المسيح، فخلص نفسك وإيانا» (لو ٢٣ : ٣٩). فلم يرد على هذا أيضاً.

أما هذا اللص اليمين فما أن قال له « أذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك ، حتى تلقى الجواب بسرعة « الحق أقول لك أنك اليوم تكون معى فى الفردوس » (لو ٢٣ : ٤٢ - ٤٣) .



ماأعجب صحبة الرب لهذا اللص ! كان زميلا على الصليب ، وزميلا صالحا !! وبلغت الصحبة مداها ، أن الرب لم يكتف بصحبته له على الصليب ، وإنما قرر أن تستمر الصحبة أيضاً فى الفردوس ! كان يستطيع أن يعده قائلا « اليوم تكون فى الفردوس » . ولكنه قال له « تكون معى » . يدخل فى معيته ، وحيثما يكون الرب يكون معه أيضاً ...

ما أسعده لصاً !... لم يأنف الرب من هذا اللص ، ولم يشمئز ، بل على العكس وجد فيه قلباً مملوءاً بالفضائل . فبادله الحديث على خشبة الصليب ، وفرح أن يسعد قلب هذا اللص بوعد يطمئنه على مصيره قبل أن يلقى الموت ...

ستكون معي في الفردوس ، لأن قلبك صار معي على الأرض. لأنك سلمتني قلبك على الصليب ، وسلمتني مصيرك ولأنك تألمت معي ، فلذلك سوف تتمجد معي أيضاً ... لقد صلبت معي ، وتألمت معي...وستحيا معي أيضاً .

ما أعجب هذا اللقاء ... على الصليب ...

كثيرون التقوا مع الرب في الكنائس والمعابد ، وآخرون التقوا به في مخادعهم المغلقة عليهم ساعة الصلاة ... أما أن يكون مكان اللقاء على الصليب ، فهذا عجيب حقاً . هل كان هذا اللص يفكر إنه إذا تاب في يوم ما ، والتقى بالرب يكون لقاؤه به في مثل هذا الموضع ...!!!

حقاً ان « ملكوت الله لا يأتي بمراقبة » (لو ١٧ : ٢٠) . . لا نستطيع أن نعرف متى تعمل النعمة في الانسان ، وكيف ، ومتى ... حقاً ان الروح يهب حيث يشاء (يو ٣ : ٨) ... لقد عاش هذا اللص حياته كلها في الخطية ، ولصقت به الخطية حتى على الصليب عندما كان يعير الرب مع زميله ... فهل معنى هذا أن النعمة كانت قد حجبت وجهها عنه،

أو أن الرب قد نسيه إلى الانقضاء ... ؟! كلا ، فمراحم الرب كانت تنتظر الوقت المناسب لتعمل فيه... ثم جاء زمان افتقاده ونال الخلاص، وهو على بعد أشبار من الموت ...

نحن لا نعرف من هم المختارون . من كان يظن أن هـذا اللص سيصير واحـدا منهم !! من كان يظن أنه في ساعة واحدة سينال ما ناله غيره بجهاد عشرات السنوات ؟! اننا نحكم حسب الظاهـــر ، ونحتقر البعض ، ونرثى للبعض ، وربما يكونون أفضل منا بمراحـل . . . ومع ذلك نقول في صدق ان هذا اللص ، قد دخل الفـردوس عن جـدارة واستحقاق .

لقد كان عجيبا ، وعجيبا جدا ، فى كل ما فعله ...

اعترف بالمسيح ربا ، فقال له « اذكرنى يارب » .

واعترف به ملكا ، فقال له « متى جئت فى ملكوتك » .

واعترف به مخلصاً ، قادراً أن ينقله إلى الفردوس .

وعلى الصليب اعترف هـذا اللص بخطاياه الشخصية ، واعترف باستحقاقه للموت . ووبخ زميله اللص الآخر قائلا له « أما نحن فبعدل (جوزينا) ، لأننا ننال استحقاق ما فعلنا» .

وانتهر زميله بسبب تجديفه على السيد المسيح قائلا له« أو لا تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ... وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى

محله » (لو ٢٣ : ٤٠ - ٤١) . وهكذا اعترف ببر المسيح وخلوه من الخطية ، وبالتالى لا يكون قد صلب بسبب خطية له ، وبالاستنتاج يكون صلبه عن خطية غيره ...

عجيب هذا حقا ، أن يكون الوحيد الذى دافع عن السيد المسيح وسط تلك الآلاف هو اللص اليمين !! لم يدافع عنه واحد من الإثنى عشر . لم يدافع عنه واحد من التلاميذ السبعين . لم يدافع عنه واحد من الذين شفاهم أو أقام موتاهم أو أخرج منهم الشياطين ... لم يدافع عنه أحد ... اجتاز المعصرة وحده . والوحيد الذى دافع عنه ، ولم يقبل كلمة إساءة توجه إليه ، هو **اللص** اليمين !! من كان يظن فى جميع التلاميذ وفى جميع المؤمنين ، أن الوحيد الذى يدافع عنه هو **اللص !!** حقا - كما قال الرب - « انظروا ، لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار » (متى ١٨ : ١٠) .

فلا تظن فى نفسك يا أخى أنك شىء ، أو أنك أفضل من أمثال هؤلاء ... لا تظن فى نفسك أنك كأحد الرسل أو أحد الأحباء أو المريدين أو القريبين من الرب ... فقد سكت كل هؤلاء ، لم يدافع واحد منهم عن المسيح ، والذى دافع عنه هو لص لم يكن يتوقعه أحد ، ولم يكن يسمع به أحد ...

والجميل فى هذا اللص - غير دفاعه عن المسيح - أنه كان مشغولا أبديته . كان مهتما بإعداد العدة لمصيره الأبدى . هو أيضاً لم يكن

يفكر فى آلامه الجسدية ، وإنما فى مصيره بعد الموت . لذلك صرح فى استرحام وفى استغفار « أذكرنى يارب » . . . أذكرنى فى مراحمك ، وليس فى خطاياى . أو كما قال داود النبى « أذكر يارب مراحمك ورأفاتك فإنها ثابتة منذ الأزل. خطايا شبابى وجهالاتى لاتذكر. كرحمتك أذكرنى أنت ، من أجل جودك يا رب » (مز ٢٥ : ٦ و ٧) .

« أذكرنى » ، ولا تدخلنى فى زمرة أولئك الذين قلت لهم « إنى لم أعرفكم قط » .. أذكر هذا الجوار ... **انها ساعات خالدة فى حياتى ، تلك التى قضيتها الى جوارك على الصليب . انها أسعد ساعات حياتى ،** أتمتع بشركة آلامك، وأفتخر بأنى « مع المسيح صلبت » (غل ٢ : ٢٠). فمن أجل هذا الجوار أذكرنى . لقد كان صلبى إلى جوارك عاراً لك ، ولكنه فخر أبدى لى . تكفينى هذه الساعات السعيدة معك ، ولكنى أريد أن أعتبرها كمجرد عربون . . .

إن عبارة « أذكرنى » التى أقولها لك ، تعنى وجود علاقة سابقة . تعنى أننى معروف عندك ، ومكتوب فى سفرك ، ومنقوش على كفك .

لقد أحصيت مع أثمة (اش ٥٣ : ١٢) ، وصلبت مع الخطاة . وإن حسب هذا عارا لك ، لكنه نعمة لى وبركة ... ما ألذ وجودى إلى جوارك ، إنه ينسينى كل آلامى فلا أشعر بها ... بل أشعر بروحك تتخلل كيانى كله ، وتطهرنى وتقدسنى ، وتجعلنى إنساناً آخر ... إنك كشعاع الشمس الذى قد يرقد إلى جوار أى جسم قذر ، فلا يتسخ منه ، بل يطهره . .

أنا معتز بصحبتك ، ليتنى عرفتك من قبل ... فاذكرنى .

ليت كل واحد فينا يصيح مع اللص قائلا « أذكرني يا رب » أذكر أنلك ابنا فى كورة بعيدة، وعبداً ضالا خارج الحظيرة. أذكرنى فى ضعفى، وفى ذلى، وفى سبيى، أذكرنى فى سقوطى لكى تقيمنى وترد نفسى اليك. أذكرنى لأنى واحد من الذين « ليس لهم أحد يذكرهم ». ليس لى إنسان يلقينى فى البركة فأبرأ (يو ٥ : ٧).

ان قصة اللص اليمين هذه تعطينا فكرة أن ساعة الموت تختلف من انسان الى آخر. لا نقل أنه ذكر الرب وتاب إذ كان لا بد أن يفعل هكذا فى ساعاته الاخيرة. كلا، فاللص الآخر كان مثله فى ساعاته الأخيرة ومع ذلك يقول الكتاب أنه كان يجدف على المسيح، وما كان يخاف الله، وما كان يهتم بمصيره الأبدى. وإنما كان كل همه أن يتخلص من الصليب (لو ٢٣ : ٣٩)، ليعود فيتمتع بهذا العالم ... وهكذا استحق الانتهار من زميله. **وفى ساعة الموت: بدلا من أن يتوب عن خطاياه، كان يرتكب خطايا جديدة، بقسوة قلب!** ! . . . كان هذا اللص اليسار قريباً من المسيح بالجسد، كان إلى جواره. أما قلبه فكان مبتعداً عنه بعيداً بما لا يقاس، حتى فى ساعة الموت!! إن ساعة الموت لم تستطع أن تذكره بالتوبة، ولا أن تدفعه إلى الاستعداد ... إطلاقاً ...

إنه لم يتأثر بمغفرة المسيح لصالبيه: ولم تملكه الغيرة من أجل الوعد الذى ناله زميله بدخول الفردوس. ولم يؤمن إذ رأى السماء، والأرض ماجت مرتعدة، والصخور تشققت، والظلمة سادت على الكون . . .

بل كان منشغلا عن أبديته ، حتى فى ساعة الموت . ما يزال يحب العالم ومعاودة المعيشة فيه... لا يريد المسيح ولا صحبته ، وإنما يحب أن يستغله كوسيلة للنزول من على الصليب . . .

انه درس قاس لكل من يؤجل التوبة ، وفى ظنه انه سيتوب فى اواخر ايامه ، التى لا يعرف لها موعدا ! ! كثير من الناس يكونون فى ساعة الموت مثل اللص الذى على الشمال ، يجدفون ويتذمرون ويشتهون العالم الحاضر ! ! من كان عبداً لعادة من الصعب أن يبطلها بالتأجيل ، حتى لو دقت يداه وقدماه بالمسامير ، وكان بينه وبين الموت دقائق!! إذا لم يتعاون الإنسان مع عمل النعمة فى قلبه ساعة الموت ، فمن الممكن أن يخطىء فى تلك الساعة أيضاً .

كثيرون فى ساعة الموت يبكون بدموع ... ليس بكاءا على خطاياهم، وانما لأن الموت سيحرمهم من ملاذ الحياة!! يبكون لأن الموت سيفصلهم عن أحبائهم وعن شهواتهم ... ما يزال العالم حلواً فى قلوبهم ، حتى فى ساعة الموت . . . لا تظنوا أن الموت ـ بالضرورة ـ يجلب للإنسان خشوعاً !.. ليس لكل الناس . إن اللص اليمين استفاد من ساعة الموت ، واللص اليسار لم يستفد ... وبينما كان اللص اليسار يجدف ويعير ، كان زميله يصلى ، ويتضرع قائلا « أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك » .

والرب لم يتخل عن هذا اللص التائب . ولم يتمهل عليه وإنما كانت استجابة صلاته أسرع مما كان يتوقع . إن اللص فى آخر ساعاته لم يفقد رجاءه فى مراحم الرب . والرب أيضاً قوى رجاءه وأكده

تأكيداً بقوله له : « الحق أقول لك انك اليوم تكون معى .. » . انك الآن معى ، وبعد قليل ستكون معى . ولكن شتان بين الحالين ... كما كنت معى فى الألم ستكون معى « فى الفردوس » . أنت الآن تتعذب، وهناك تتعزى ...

وبقول الرب « فى الفردوس » انما صحح للص خطأ وقع فيه . وصححه له بنفس طريقة المسيح الهادئة اللطيفة . . . لقد قال اللص « أذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك » ، وحسناً آمن ان للمسيح ملكوتاً روحياً فى السموات ، وأن مملكته ليست من هذا العالم كما يطلب العالميون ... ولكن ملكوت السموات لا يدخله الناس الا بعد القيامة العامة ، أما بعد الموت مباشرة ، فيذهبون الى مكان الانتظار . ومكان انتظار الأبرار هو الفردوس. وهكذا لم يقل السيد للص « اليوم تكون معى فى ملكوتى » ، وإنما « فى الفردوس » . وبهذا باشر الرب وظيفته كمعلم صالح ، حتى على الصليب ، بنفس طريقته الوديعة فى التعليم ، شارحاً للمخطىء خطأه دون أن يقول له أنك أخطأت .

ستكون معى فى الفردوس ، كعربون ... وستأتى معى على السحاب فى مجيئى الثانى . وستقف على يمينى فى يوم الدينونة ، كما أنت الآن عن يمينى على الصليب ، رمزاً للأبرار ... وستملك أيضاً معى فى ملكوتى . وتكون معى فى الأبدية التى لا تنتهى ... ها أنا معك كل الأيام والى انقضاء الدهر ...

لعل هذا الوعد قد جعل اللص ينتظر الموت بفرح ، ليكون مع المسيح ، فذاك أفضل جداً ... هنا نقول ما ألذ الموت ! « أين شوكتك يا موت » !! إن الموت مرعب للأشرار لكنه مفرح للذين يرقدون على رجاء ، للذين نالوا المواعيد، ونظروا الأكاليل،واطمأنوا إلى مصيرهم بعد الموت ، ورن فى آذانهم قول المسيح « اليـــوم تكون معى فى الفردوس » ...

وبقوله « تكون معى فى الفردوس » ، لم يعلن للص غفران خطيئته فحسب، وانما أعلن أيضا فتح باب الفردوس لأول مرة بعد خطيئة آدم . هذا الفردوس الذى كان مغلقاً منذ ذلك الزمان ، لا يستحق أحد دخوله بسبب الخطية . وهذه العبارة التى قالها الرب للص ، نتذكرها كلما نودع نفسا رحلت عن عالمنا . فنقول فى صلاة الجناز « افتح لها يارب باب الفردوس كما فتحته لذلك اللص » .

ان المغفرة التى نالها اللص هى عمل الهى ، وفتح باب الفردوس هو عمل الهى أيضا . عملان قام بهما الرب على الصليب يثبتان لاهوته . إنه لم يصل لأجل اللص للمغفرة ولدخول الفردوس ، إنما قال له بسلطان « اليوم تكون معى ... » . وكأنه بهذا قد باشر عمله كديان عادل من حقه أن يصدر حكماً فى أبدية انسان ، فحكم للص بدخول الفردوس فى نفس اليوم . من من البشر له سلطان أن يفعل هذا ؟! إنه سلطان إلهى لا يقدر عليه انسان... كذلك فتح الفردوس : أمر لم يقو عليه أحد من قبل، لا رئيس آباء ولا نبياً . من استطاع أن يفتح باب الفردوس المغلق،

أو من استطاع أن يدخله ؟! لا أحد . كلهم انتظروا حتى يأتى المخلص فيفتح لهم . إنه عمل إلهى ... وهو أيضاً اعلان عن كفاية هذا الدم المسفوك عنا لفتح باب الفردوس ...

حقا انه صاحب السلطان . « يفتح ولا احد يغلق . ويغلق ولا أحد يفتح » (رؤ ٣ : ٧) ، (اش ٢٢ : ٢٢) . هو الذى بيده مفاتيح الهاوية والموت (رؤ ١ : ١٨) . بل بيده مفاتيح السماء والأرض ، وبسلطانه يهبها لتلاميذه ، وكلائه على الأرض . هو الذى فتح للعذارى الحكيمات . وإليه تضرعت الجاهلات قائلات « يا ربنا يا ربنا ، افتح لنا » (متى ٢٥ : ١١) . ولكنه لا يفتح فردوسه ، إلا للذين فتحوا له قلوبهم ، كاللص اليمين الذى استحق أن يقول له « اليوم تكون معى فى الفردوس » ...

وعبارة (اليوم) تكون معى ، دليل اكيد عل عدم وجود مطهر كما يظن البعض . فاللص دخل الفردوس فى نفس يوم وفاته ، دون أن يقضى فى هذا المسمى بالمطهر ساعة واحدة !! ... كما أن عبارة (اليوم) تكون معى ، تنفى الفكرة التى بها يظن البعض أن روح الميت تظل باقية تتردد على أماكن سكناها حتى اليوم الثالث إلى أن تصلى الكنيسة صلاة فى اليوم الثالث لصرف تلك الروح !!... هل بقيت روح اللص اليمين إلى اليوم الثالث ، أم فى نفس اليوم كانت فى الفردوس ؟!...

وبعبارة الفردوس شرح الرب مصير الانسان بعد الموت ، وكيف أن الفردوس هو مكان الانتظار للأبرار، وكيف انهم سيكونون هناك مع المسيح يتمتعون به .

اليوم تكون (معى) . انها متعة جميلة ان نكون مع الرب . إن الوجود مع الرب هو أجمل من الفردوس أو هو أجمل ما فى الفردوس أو هو الفردوس ذاته ، بل هو النعيم الحقيقى ، أن نوجد معه . هذا هو ما قاله الرب ، وما وعد به ... آتى وآخذكم إلى ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً ، (يو ١٤ : ٣) . ما أجمل هذا الوعد . إنه أملنا الذى نسعى إليه ، ونشتهاه ...

إن الحياة الروحية كلها هى « معية مع الرب » ...

بهذا الوعد ، افرح الرب قلب اللص ، ولم تشغله آلام الصلب عن التحدث مع هذا الانسان وطمأنته واسعاده... نسى السيد الرب آلامه المبرحة ، نسى الشوك والمسامير وأثار الجسد وجسده المنهك ، وشغل وقته بالاصغاء إلى هذا اللص والتحدث معه وطمأنة قلبه ... حقاً ان « المحبة لا تطلب ما لنفسها » (١ كو ١٣ : ٥) ، بل ما هو للآخرين (١ كو ١٠ : ٢٤) ما أكثر ما يأتى إلينا انسان فى وقت تعبنا أو مشغوليتنا ، فنتبرم به ، ونتضايق، ونقول له «طيب يا أخى بعدين ، أنا مش فاضى لك دلوقتى ، استنى شوية » . أما السيد المسيح فحتى على الصليب ، لم يقل مثل هذه العبارات. وانما على الرغم من آلامه أعطى

اللص الاهتمام الذى يحتاج اليه ، واستجاب طلبته، وأسعد قلبه . وأرانا أنه حتى على الصليب يمكن القيام بخدمة للآخرين . . .

وفى الاهتمام باللص يظهر لنا الرب أهمية العمل الفردى الى جوار العمل الجماعى . فبالإضافة إلى عمل الفداء العظيم المقدم للعالم أجمع ، لكل من يؤمن به ، وبالإضافة إلى غفرانه لصالبيه ، كان له أيضاً عمل فردى مع اللص . لأن الفرد — عند المسيح — لا يتوه وسط الجماعة ... ما تزال له قيمته ، وله اهتمامه ...

وهكذا كان السيد المسيح فى كل كرازته على الأرض يعمل فى الميدانيين معا : العمل الجماعى ، والعمل الفردى : العمل الجماعى وسط الجماهير الكثيرة ، وسط الجموع المزدحمة حواليه فى عظته على الجبل ، ووسط الخمسة الآلاف الذين اشبعهم بخمس خبزات وسمكتين . . . وله العمل الفردى وسط الاثنى عشر ، أو وسط ثلاثة منهم هم بطرس ويعقوب ويوحنا ، أو مع نيقوديموس ، أو فى بيت مريم ومرثا ، أو مع المرأة السامرية عند البئر ...

إن الله لا ينسى الفرد وسط الجماعة . لا يضيع فرد فى زحمة الناس. لا يضيع الخروف الضال فى زحمة الاهتمام بالتسعة والتسعين الباقين ... لا يضيع اللص اليمين وسط الاهتمام بخلاص العالم كله .

الكلمة الثالثة

هُوَذَا ٱبْنُكِ ... هُوَذَا أُمُّكَ (يوحنا ١٩: ٢٦، ٢٧)

كان الاهتمام بالآخرين هو أول ما يشغل الرب على الصليب . فكما اهتم بصالبيه ، وقال « يا أبتاه أغفر لهم » ، وكما اهتم باللص اليمين ووعده قائلا « اليوم تكون معى فى الفردوس » ، اهتم أيضاً بأمه ، وعهد برعايتها إلى تلميذه الحبيب يوحنا .

عهد بالبتول الى تلميذه البتول ...

عهد بأمه التى حملته كثيرا على صدرها ، الى تلميذه الحبيب الذى اتكأ كثيرا على صدره .

عهد بأمه التى وقفت الى جوار صليبه ، الى تلميذه الوحيد الذى تبعه حتى الصليب .

عهد بأمه التى حملت فى داخلها جمر لاهوته ، الى تلميذه الذى كتب انجيلا فيما بعد يثبت فيه لاهوته .

قال لها « هذا هو ابنك » . وقال له « هذه هى أمك » .

ومن ذلك الحين أخذها التلميذ إلى بيته (يو ١٩ : ٤٧) .

وبهذا أعطانا الرب مثالا عن الاهتمام بالأقرباء حسب الجسد ، وبخاصة الأم . لقد اهتم بهذا المستودع الذى حمله تسعة أشهر ، وبهذه الأم التى اهتمت به قبلا ، والتى عاش خاضعاً لها (لو ٢ : ٥١) .

ان الشخص فى آلامه يكون موضع اهتمام الناس به . أما المسيح فى آلامه ، فكان هو المهتم بغيره ..

كم بالحرى الآن وهو فى راحته ، يهتم بنا بالأكثر ...

اهتمامه الأول وجهه إلى غفران الخطايا ، وبعد ذلك اهتم بالرعاية الاجتماعية . وكانت الأم هى أولى من اهتم بها فى هذه الرعاية .

لقد ظن البعض - عن سوء فهم - أن السيد الرب فى تركيزه على العلاقات الروحية ، قد أبطل الاهتمام بهذه العلاقات العائلية فى قوله « من هى أمى ، ومن هم أخوتى .. الذى يفعل مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى » (متى ١٢ : ٤٨ - ٥٠) . ولكن هذا الفهم الخاطىء ألغاه الرب على الصليب ...

إن التكريس ، والتفرغ لخدمة الرب ، والانشغال بالأسرة الكبيرة التى هى الكنيسة الجامعة ، كل ذلك لا يعنى إهمال الإنسان لأقربائه وخاصته ، ولا سيما أهل بيته . (١ تى ٥ : ٨) وكل ذلك لا يعفى الإنسان من إكرام والديه أو من الاهتمام بأمه .

وكأنما كان هناك موعد بين السيد المسيح وأمه القديسة العذراء . كان وجهها الطاهر أول وجه يراه عند مجيئه إلى هذا العالم بالجسد ، وكان آخر وجه يراه قبيل تسليمه الروح فى يدى الآب ... إنه قلب الأم المحب الذى يسعى وراء الابن أينما كان ، ويلازمه فى

آلامه فى حب .. ويناجيه بتلك العبارة المؤثرة « أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص . وأما أحشائى فتلتهب بالنار عند نظرى إلى صلبوتك الذى أنت صابر عليه من أجل الكل يا إبنى وإلهى » ...

وهو أيضاً قلب الإبن الذى يهتم بأمه وهو فى عمق آلامه .

وهكذا وجد السيد المسيح من اللازم أن يعتنى بأمه فى آلامها ، ويقول لها كلمة تعزية بينما « يجوز فى نفسها سيف (لو ٢ : ٣٥) ... وجد من المناسب له كإبن أن يعزى أمه فى آلامها . **وقد عزاها بثلاثة أمور : بالحديث معها ، وبالعناية بها وتدبير أمورها ، وبمنحها ابنا روحيا يؤنس وحدتها ..**

وحديث الرب مع أمه على الصليب ، يختلف عن حديثه مع اللص اليمين . اللص هو الذى بدأ الكلام ، والرب رد عليه . أما مع القديسة مريم ، فالرب هو الذى بدأ الكلام ... إنها أمه . لا ينتظر حتى تكلمه فيرد عليها . ولا ينتظر حتى تشكو إليه فينظر فى شكواها ... وهى لن تشكو . فقد تعودت العذراء أن تصمت . حتى إلى جوار الصليب ، لم يقل أحد أنها كانت تصرخ أو تندب ، إنما كانت رصينة ورزينة فى ألمها ، وصامتة . وكان الرب يفهم صمتها ويسمعه ، ويعرف دواخل قلبها ومشاعرها . فكلمها دون أن تطلب . وأطاعت كلامه ، وذهبت مع التلميذ الحبيب إلى بيته ...

وكانت العذراء بركة ليوحنا ، وبركة لبيته ، منحه المسيح اياها ، مكافأة له على حبه ... أخذها التلميذ كجوهرة ثمينة أغلى من العالم كله ... وظلت فى بيته وديعة غالية حتى تنيحت ... ويقال أن يوحنا الرسول لم يبرح أورشليم إلا بعد نياحة العذراء ... إن كان يوحنا قد وصل فى حبه أنه تبع المسيح إلى الصليب ، وظل واقفاً إلى جواره ، فيجب أن ينال مكافأة على ذلك ، هنا وفى الأبدية ... أما هنا ، فقد نال بركة العذراء وإقامتها فى بيته ... إن كل الذين يتبعون المسيح ، لا بد أن يأخذوا منه شيئاً ... لا بد أن يغترفوا من بركاته ومن نعمه .

والعذراء اخذت يوحنا لها ابنا . أعطاها الرب أكثر تلاميذه حبا وعاطفة ورقة وتعلقا واخلاصا ... يوحنا الحبيب أكثر من تكلم من الرسل عن المحبة ... هو الذى قال إن « الله محبة » (١ يو ٤ : ١٦) ، هو التلميذ الذى كان « يتكىء فى حضن يسوع » وكان « يسوع يحبه » . إنه أكثر إنسان يقدم للعذراء صورة إبنها ...

كان يبدو أن المسيح على الصليب لا يملك شيئاً . حتى ملابسه ، أخذوها واقتسموها فيما بينهم .ولكنه كان يملك يوحنا ، فأعطاه لامه . يوحنا الذى وهب قلبه للمسيح ، فأخذ المسيح هذا القلب ، ووهبه لامه ... وهكذا جمع الرب محبيه معاً ... واهتم بأمه عاطفياً ، كما اهتم بها مادياً ...

ترى من الذى كان يهتم بالآخر : العذراء أم يوحنا ... كانت العذراء فى بيت يوحنا ، لا لتأكل منه ، وإنما لتملأه بركة ونعمة ... ولكى تمنحه أيضاً معرفة بالمسيح ، أعمق من كل ما يعرفونه ، وأوسع ...

نلاحظ أن كون المسيح يعهد بأمه الى تلميذه يوحنا ، يحمل دلالة أكيدة على أن السيدة العذراء لم يكن لها أبناء آخرون بعد المسيح كما يدعى البروتستانت . لأنه لو كان لها أبناء ، لكانوا أولى برعايتها وبنوال بركتها من أى شخص غريب ... لقد كانت العذراء وحيدة فى ذلك الوقت : ليس لها أبناء ، ويوسف النجار قد تنيح منذ زمن . فعهد بها المسيح إلى تلميذه ...



وعبارة « هذا هو ابنك » تعطينا فكرة عن البنوة الروحية كما توضح لنا كرامة العذراء بالنسبة الى آبائنا الرسل أنفسهم ...

الكلمة الرابعة

إلهي إلهي لماذا تركتني (متى ٢٧ : ٤٦)

هذه العبارة لا تعنى ان لاهوته قد ترك ناسوته ، ولا أن الآب قد ترك الابن ... لا تعنى الانفصال ، وانما تعنى ان الاب قد تركه للعذاب

أن لاهوته لم يترك ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين .. بهذا نؤمن ، وبهذا نصلى فى القداس الإلهى .. ولو كان لاهوته قد انفصل عنه ، ما اعتبرت كفارته غير محدودة ، تعطى فداءاً غير محدود ، يكفى لغفران جميع الخطايا لجميع البشر فى جميع الأجيال ... إذن فلم يحدث ترك بين لاهوته وناسوته .

ومن جهة علاقته بالآب ، فلم يتركه الآب ، « لأنه فى الآب ، والآب فيه » يو ١٤ : ١١) .

اذن ما معنى عبارة « لماذا تركتنى » ؟

ليس معناها الانفصال ، وإنما معناها : تركنى للعذاب . تركتنى اتحمل الغضب الإلهى على الخطية . هذا من جهة النفس . أما من جهة الجسد ، فقد تركتنى أحس العذاب وأشعر به . كان ممكنا ألا يشعر بألم ، بقوة اللاهوت ... ولو حدث ذلك لكانت عملية الصلب صورية ولم تتم الآلام فعلا ، وبالتالى لم يدفع ثمن الخطية ، ولم يتم الفداء ..

ولكن الآب ترك الابن يتألم ، والابن قبل هذا الترك وتعذب به . وهو من اجل هذا جاء .. كان تركا باتفاق .. من أجل محبته للبشر، ومن أجل وفاء العدل .. تركه يتألم ويبذل ، ويدفع ، دون أن ينفصل عنه ... لم يكن تركا أقنوميا ، بل تركا تدبيريا .. تركه بحب ، « سر أن يسحقه بالحزن » (أش ٥٣ : ١٠) .

مثال لتقريب المعنى :

لنفرض أن طفلا اصطحبه أبوه لاجراء عملية جراحية له ، كفتح دمل مثلا أو خراج . وأمسكه أبوه بيديه « وبدأ الطبيب يعمل عمله ، والطفل يصرخ مستغيثاً بأبيه « ليه سبتنى » . وهو فى الواقع لم يتركه ، بل هو ممسك به بشدة ، ولكنه قد تركه للالم ، وتركه فى حب ... هذا نوع من الترك ، مع عـــدم الانفصال .. نقوله لمجرد تقريب المعنى ، والقياس مع الفارق ...

ان عبارة «تركتنى» ، تعنى ان آلام الصلب ، كانت آلاما حقيقية. وآلام الغضب الإلهى كانت مبرحة .. فى هذا الترك تركزت كل آلام الصليب ، وكل آلام الفـــداء . . هنا يقف المسيح كذبيحة محرقة ، وكذبيحة اثم تشتعل فيه النار الإلهية حتى تتحول الذبيحة إلى رماد ، وتوفى عدل الله كاملا ..

كثير من المفسرين يرون ان الرب بقوله «الهى الهى لماذا تركتنى» انما كان يذكر اليهود بالمزمور الثانى والعشرين الذى يبدا بهذه العبارة .

كانوا « يضلون إذ لا يعرفون الكتب » (متى ٢٢ : ٢٩) بينما كانت هذه الكتب « هى التى تشهد له » (يو ٥ : ٣٩) فأحالهم السيد المسيح إلى هذا المزمور بالذات . وكانوا لا يعرفون المزامير بأرقامها الحالية ، وإنما يسمون المزمور بأول عبارة فيه ، كما يفعل الرهبان فى أيامنا . . .

وماذا فى هذا المزمور عنه ؟

فيه « ثقبوا يدى وقدمى ، واحصوا كل عظامى ... وهم ينظرون ويتفرسون فى. يقسمون ثيابى بينهم ، وعلى قميصى يقترعون» (ع ١٧، ١٨) وواضح أن داود النبى الذى قال هذا المزمور ، لم يثقب أحد يديه ولا قدميه . ولم يقسم الناس ثيابه ، ولم يقترعوا على قميصه ... إنما هذا المزمور ، قد قيل بروح النبوة على المسيح ... وكأن المسيح على الصليب يقول لهم : أذهبوا واقرءوا مزمور « الهى الهى لماذا تركتنى » وانظروا ما قيل فيه عنى ... ترون أنه قيل فيه عنى أيضاً :

« عار عند البشر ، ومحتقر الشعب . كل الذين يروننى يستهزئون بى يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين : اتكل على الرب فلينجه ، لينقذه لأنه سر به » (ع ٦ — ٨) ...

ويعوزنا الوقت أن نخصنا كل المزمور ... أنه صورة واضحة لآلام المسيح على الصليب. وجههم إليه . . « وفتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (لو ٢٤ : ٤٥) .

كل نص المزمور بدأ يتحقق ، لذلك قال بعد حين « قد اكمل » .
ولكن لماذا لم يقل « قد أكمل » مباشرة بعد إلهى إلهى لماذا تركتنى »؟ لأن هناك عبارة أخرى فى المزمور لم تكمل بعد وهى عبارة «يبست مثل شقفة قوتى ، ولصق لسانى بحنكى » (ع ١٥) . إن هذه أيضاً ستتحقق بعد حين عندما يقول « أنا عطشان » . لذلك قال بعدها « قد أكمل »..

ولكن لماذا قال المسيح « الهى ، الهى » ؟
لقد قالها بصفته نائباً عن البشرية . قالها لأنه « أخلى ذاته ، وأخذ شكل العبد ، صائراً شبه الناس ، وقد وجـــد فى الهيئة كإنسان » (فى ٢ : ٧ ، ٨) . قالها لأنه « وضع نفسه » و « أطاع حتى الموت ، موت الصليب » (فى ٢ : ٩) أنه يتكلم الآن كابن للإنسان ، أخذ طبيعة الانسان ، وأخذ موضعه ، ووقف نائباً عن الانسان وبديلا أمام الله ، كابن للبشر ، وضعت عليه كل خطايا البشر ، وهو الآن يدفع ديونهم جميعاً ...

هنا نرى البشرية كلها تتكلم على فمه . . . وإذ وضعت عليه كل خطايا البشر ، والخطية انفصال عن الله ، وموضع غضب الله ، لذلك تصرخ البشرية على فمه « إلهى إلهى ، لماذا تركتنى » ...

لقد ناب السيد المسيح عن البشرية فى أشياء كثيرة ، ان لم يكن فى كل الأشياء .!!

ناب عنا فى الصوم : لم يستطع آدم وحواء أن يصوما عن الثمرة المحرمة ، وقطفا وأكلا ، وبدأ السيد حياته بالصوم حتى عن الطعام المحلل.

لم يكن فى حاجة إلى الصوم ، ولكنه « صام عنا أربعين ليلة » كما تقول تسابيح الكنيسة .

وناب عنا فى طاعة الناموس : « الرب من السماء أشرف على بنى البشر ، لينظر هل من فاهم طالب الله . الجميع زاغوا وفسدوا . ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد » (مز ١٤ : ٢ ، ٣) . وجاء المسيح ، فناب عن البشر فى طاعة الآب ، ونفذ الناموس لكى « يكمل كل بر » (متى ٣ : ١٥) كما ذكر وقت العماد ... وهكذا ناب عن البشرية فى تقديم حياة طاهرة مقبولة أمام الله الآب ...

وناب عنا أيضا فى الموت وفى العذاب وفى دفع ثمن الخطية « والذى بلا خطية ، صار خطية لأجلنا » (٢ كو ٥ : ٢١) . « واحتمل كل لعنة الناموس » . واحتمل كل غضب الله على الخطاة بكل ما فيه من مرارة . وكنائب عن البشرية قال : « إلهى إلهى لماذا تركتنى » ...

وهذا الذى أعان الكل ولم يترك أحدا ، تركه الكل حتى الآب . . . وبهذا دفع ثمن الخطية ، وتحمل الغضب ، وخرج منتصراً ، بعد أن جاز معصرة الآلم وحده ، نفساً وجسداً ..

وفى هذا كله أعطانا درساً . لكى نحترس نحن .

ان كانت الخطية تسبب كل هذا الترك ، وكل هذا التخلى ، وكل هذا الألم . فلنسلك نحن بتدقيق (اف ٥ : ١٥) ولنخف أن نترك الرب لئلا يتركنا . فإن الإبن نفسه قد ترك . وألم الترك لا يطاق. وفى كل ذلك فلنشكر ربنا يسوع المسيح ونسبحه على كل هذا الحب وهذا البذل...

ان عبارة « لماذا تركتني » ، تعطينا الكثير من العزاء كلما نقع فى الضيقات ... إن كان الله الآب « لم يشفق على ابنه » (رو ٨ : ٢٢) وسلمه لهذا العذاب والحزن ، فلماذا نتذمر نحن على الآلام التى يسمح بها الآب ؟! .. إن كان الآب قد سر أن يسحق بالحزن ابنه الوحيد الحبيب الذى قال عنه : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » (متى ٣ : ١٧). ومع ذلك فنحن لم نتعرض لشىء من كل آلام المسيح على الرغم من استحقاقنا لكل ألم ، فلماذا إذن نتذمر على الضيقات ؟.

إن الابن شرب الكأس التى قدمها له الآب، وقال له « لتكن مشيئتك ». وأطاع حتى الموت ، موت الصليب ، بكل خضوع . أما عبارة « لماذا تركتنى»، فلم تكن نوعاً من الاحتجاج أو الشكوى - كما قلنا - إنما كانت مجرد تسجيل لآلامه ، واثبات حقيقتها ، واعلاناً بأن عمل الفداء سائر فى طريق التمام ...



لماذا تركتنى ... ؟

الكلمة الخامسة

أنا عطشان (يوحنا ١٩ : ٢٨)

من أجل خطاياى — أيها الأخ — ومن أجل خطاياك ، جف حلق الرب على الصليب ، و « لصق لسانه بحنكه » و « يبست مثل شقفة قوته » (مز ٢٢ : ١٥) ...

مياه جسده قد نصفت ونزفت ، وذلك لأسباب كثيرة :

بعضها لأجل العرق الكثير الذى سال منه كقطرات دم ، وهو يجاهد لأجلنا فى فى بستان جثسيمانى (لو ٢٢ : ٤٤) . والعرق الذى سال منه فى الطريق وهو يحمل الصليب ، وطوال المدة تحت أشعة الشمس المحرقة فى نصف النهار .. وبخاصة من أجل التعب والإرهاق والإنهاك الذى تعرض له فى كثرة المحاكمات وكثرة اللطمات .

يضاف إلى كل هذا الدم الكثير الذى نزف منه ، بسبب الجلد المريع ، وبسبب اكليل الشوك ، وبسبب المسامير ..

لكل ذلك جف حلقه ، واحتمل حتى لم تبق فى جسده قوة ، فقال « أنا عطشان » ...

وبهذا اعلن ان العرق اخذ سبيله الى الحديد المحمى بالنار ، او اعلن ان النار بدأت تلتهم ذبيحه المحرقة ... أو أعلن أن العدل الإلهى يتقاضى أجره ، وأن اللاهوت ـ كعهده ـ لم يتدخل لتخفيف الألم عن

الناسوت ، فكان ألماً كاملا ، تنسم منه الآب رائحة الرضا ، وعبر عنه الابن بعبارة « أنا عطشان » ... فليخز الآن أوطيخا الذى قلل من حقيقة ناسوت الرب . فلو لم يكن ناسوته كاملا ، ما قال « أنا عطشان » ...

عجيب أن يعطش الينبوع ، الذى يهب الماء الحى لجميع العطاش (يو ٧ : ٣٧) . الذى قال للمرأة السامرية « من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا ، فلن يعطش الى الأبد . بل الماء الذى أعطيه ، يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية » (يو ٤ : ١٤) .

ماذا كان يقصد بعبارة « أنا عطشان » ؟

لا شك أنه كان عطشانا فعلا من الناحية الجسدية . ومن الناحية الروحية كان عطشاناً أيضاً لهذا الخلاص الذى يقدمه للعالم ، كان عطشاناً لعبارة «قد أكمل» التى سيقولها بعد .. مثلما قال للمرأة السامرية «اعطينى لأشرب » ولم يكن يقصد هذا الماء المادى « الذى كل من يشرب منه يعطش أيضاً » (يو ٤ : ٧ ، ١٣) ، والذى لم يأخذه منها . وإنما كان عطشاناً إليها هى وإلى أهل السامرة ، إلى خلاصها وخلاصهم .

ولم يقل « أنا عطشان » لكى يأخذ من الناس ماء . كان يعرف أنهم سيقدمون له خلا ! (متى ٢٧ : ٤٤ ، ٤٨) . كان يعرف ذلك بلاهوته الذى ينكشف أمامه الغيب والمستقبل . وكان يعرف ذلك من حيث معرفته بالنبوءة التى تقول « وفى عطشى يسقوننى خلا (مز٦٩ : ٢١) .

لم يقل « أنا عطشان » ليطلب منهم ماءاً ، فالله لا يمكن أن يلتمس معونة من البشر . وأيضاً لأنه كان عازماً أن يشرب كأس الألم حتى

التمام . لذلك اعتنى عندما قدموا له خلا ممزوجا بالمر ، كنوع من التخدير لتخفيف ألمه ، و « لم يرد أن يشرب » (متى ٢٧ : ٣٤) .

انما اراد الرب ان يتمم النبوءات عنه، وان يعلن ان الثمن قد دفع، لكى يطمئن البشر ...

أما البشرية الخاطئة فاستهزأت به فيما هو يدفع ثمن خلاصها . فقدموا له خلا فى عطشه ، لكى يزيدوا ألمه ألما .. أترانا نحن نفعل ذلك أيضاً ، وكلما يطلب الرب أن يرتوى بخلاصنا ، ويشرب من نتاج كرمته التى يسرى عصيرها فى عروقنا ، أترانا نقدم له خلا بأفعالنا الرديئة وبلهونا وعبثنا واهمالنا ؟!

يا أخى اخفض تلك القصبة التى ترفعها الى فم المسيح ، وابعد عن شفتيه تلك الاسفنجة المملوءة خلا ، واندم على جرحك لمشاعر من أحبك واعمل أعمالا تليق بالتوبة .

وإذا سمعت الرب يقول « أنا عطشان » فقل له : أنا يا رب الذى جففت حلقك بخطاياى . ليتنى أستطيع أن أرويك بدموعى . ليتك تضرب بعصاك هذه الصخرة الصلبة ــ التى هى قلبى ــ وتفجر منها ماءً يرويك ...



انا عطشـــان

الكلمة السادسة

قد أكمل (يوحنا ١٩: ٣٠)

المسيح إلهنا البار، الكامل في كل شيء، القدوس الذي بلا خطية وحده، الذي عاش على الأرض حياة كاملة استطاع أن يرضى بها الله الآب، هو أيضاً كان كاملا في كرازته وفي خدمته. استطاع أن يكمل رسالته التي أعطاه الآب إياها، ويصيح صيحة النصرة الأولى.

« العمل الذى اعطيتنى لأعمل، قد أكملته » . (يو ١٧ : ٤)

لقد استطاع أن يكمل كل بر. كمل بر الناموس كله، وصاح أمام الناس « من منكم يبكتني على خطية » (يو ٨ : ٤٦). كما كمل أيضاً جميع النبوءات الخاصة به والخاصة بعمل الفداء العظيم ... في سنوات قليلة، حوالي ثلاث سنوات وبضعة شهور، استطاع أن يعمل أعمالا لم يعملها أحد من قبل، واستطاع أن يكرز ببشارة الملكوت ويقول للآب « أنا مجدتك على الأرض ... أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم .. الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم .. الذين حفظتهم، ولم يهلك منهم أحد ... عرفتهم اسمك، وسأعرفهم » (يو ١٧).

وهكذا اكمل النبوءات ، واكمل الطاعة واكمل كل بر ، واكمل عمله الكرازى ، واكمل الحب إذ أحب خاصته الذين في العـالم، أحبهم حتى المنتهى » (يو ١٣ : ١). ثم صعد على الصليب ليكمل عمل

البذل ، ويكمل الفداء والكفارة والخلاص ... ويكمل عمل المصالحة الذى به يصلح السمائيين مع الأرضيين ...

وفوق هذا الذبح ، وضع الله عليه اثم جميعنا ... وضع الله عليه جميع الخطايا ، لجميع الناس ، فى جميع الأجيال ، من آدم إلى آخر الدهور ، بكل ما فيها من بشاعة ومن دنس ومن خيانة ومن ضعف.. بكل ما فيها من زنا وفجور وكذب وسرقة وقتل وحسد وكبرياء ... حتى صاح الإبن قائلا « قد أكمل » ... ونحن نضع أيدينا على هذه الذبيحة الطاهرة ، ونعترف كل يوم بخطايا جديدة ، نضيفها إلى آلامه لكى يمحوها بدمه الكريم ...

وكما كملت الخطايا على كتفيه ، كمل أيضا العار الواقع عليه ... وهكذا قال فى ذلك « بذلت ظهرى للضاربين ، وخدى للناتفين . وجهى لم استره عن خزى البصاق » (أش ٥٠ : ٦) . وقال أيضا « كل الذين يروننى يستهزئون بى . عار عند البشر ومحتقر الشعب » (مز ٢٢ : ٧، ٦) . فى كل هذا تعرض للضرب والإهانة والجلد والاستهزاء ، وكل صنوف التحقير والتهكم ، وكلمات التجديف والتعيير وكانوا يلطمونه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من لطمك » (متى ٢٦ : ٦٧ ، ٦٨) !! وألبسوه الثوب الأرجوانى وأكليل الشوك ، وصلبوه بين لصين ليحققوا فيه قول الكتاب « ملعون كل من علق على خشبة » (غل ٣ : ١٣) (تث ٢١ : ٢٣) ... وهكذا « صار لعنة لأجلنا » . وفوق الخشبة

أيضاً أشبعوه إهانات وسباً ، حتى لينظر إلى كل هذا العار ويقول : قد أكمل ...

وكما كمل عاره كملت آلامه بالجسد ، وكمل الغضب الواقع عليه. دفع الثمن كله ، وقدم نفسه فدية ، وظلت النار تشتعل فى ذبيحة المحرقة حتى حولتها إلى رماد (لا ٦ : ١٠) . ولما رأى السيد الرب أنه قد أكمل عمل الكفارة والفداء ، وأنه أعطى العدل الإلهى كل ما يطلب ولم يعد له شيء بعد ، صاح فى نصرة قائلا « قد أكمل » ...

قد أكمل عمل الخلاص للجميع ، وتم الفداء ، واستطاع نسل المرأة أن يسحق رأس الحية . . استطاع الله وقد « ملك على خشبة » (مز ٩٦ : ١٠) أن يدمر مملكة الشيطان . الآن أصبحت الكفارة كاملة كافية للكل . الآن ينشق حجاب الهيكل ، ويفتح الطريق أمام قدس الأقداس ... لقد كمل الصلح ، وكمل الرجاء أمام القديسين الراقدين . ولم يبق إلا أن يقوم الرب كجبار ، يتقلد سيفه على فخذه ، ويستله وينجح ويملك (مز ٤٥ : ٣) . لذلك صاح الرب فى فرح « قد أكمل » ...

ان عبارة « قد أكمل » هى هتاف الفرح والانتصار . هتف به الرب الذى صارع وملك . واستطاع أن يشترينا بثمن ، ويؤسس ملكوته الروحى ، ويحطم مملكة الشيطان الذى كان يدعى من قبل « رئيس هذا العالم » (يو ١٤ : ٣٠) .

هل تستطيع يا أخى أن تنجح مثل الرب ؟ هل تستطيع أن تصعد على الصليب ، وتسحق رأس الحية ؟ هل تستطيع أن تنظر إلى عملك الذى أعطاك الرب إياه وتقول « قد أكمل » . **ليتك تضع أمامك كل حين هذا الشعار الجميل « العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته »** ...
ضع أمامك باستمرار صورة الرب الذى أكمل عمله .



قد أكمل

الكلمة السابعة

يا أبتاه في يديك أستودع روحي (لو ٢٣: ٤٦)

لقد أكمل الرب عمله على الصليب .

كما أكمل عمله الذى كان له قبل الصليب .

وبقى له عمل آخر ليعمله بعد أن يسلم الروح على الصليب . بقى أن « يسبى سبيا ، ويعطى الناس عطايا » (أف ٤ : ٨) . بقى أن ينزل إلى الجحيم ويبشر الراقدين على الرجاء . وينقل هؤلاء القديسين الراقدين من الجحيم إلى الفردوس ، فاتحا أبواب الفردوس المغلقة منذ أيام الخطية الأولى ...

لذلك اذ أتم الفداء ، لم يعد هناك داع للتأخير . عليه اذن أن يخرج من هذا الجسد ليكمل عمل الخلاص الخاص بالراقدين أيضاً . فليسلم الروح إذن فى يدى الآب حتى يمكنه أن يعمل الأعمال التى موعد عملها بعد الموت . وهكذا صرخ بصوت عظيم « يا أبتاه فى يديك أستودع روحى » ...

فى يديك أنت استودعها ، وليس فى يدى غيرك ... « رئيس هذا العالم يأتى ، وليس له فى شىء » (يو ١٤ : ٣٠) أنا من عند الآب

خرجت ، وأتيت إلى العالم ، وأيضاً أترك العالم وأرجع إلى الآب » (يو ١٦ : ٢٨) .

كم اشتاق رئيس هذا العالم أن يحصل على هذه النفس ، أن يقبض عليها كسائر الأرواح التى فى السجن . ولكنه لن يقدر على هذه النفس بالذات التى سيستقبلها الآب فى يديه . نفسى هذه لا يستطيع أحد أن يأخذها منى . لى سلطان أن أضعها ، ولى سلطان أن آخذها أيضاً (يو ١٠ : ١٧ ، ١٨) .

ان روح لعازر المسكين ـ عندما خرجت من جسده ـ حملتها الملائكة (لو ١٦ : ٢٢) . وروح العذراء حملها المسيح أما روح المسيح فيحملها الله الآب .

يقول معلمنا متى الرسول أن المسيح « صرخ بصوت عظيم (متى ٢٧ : ٥٠) وأسلم الروح . فماذا نفهم من عبارة « صرخ بصوت عظيم » .

لاشك أنه من الناحية الجسدية كان فى منتهى الانهاك والأرهاق . بعد كل تعبه فى حمل الصليب حتى وقع تحته ، وبعد تعب الجلد واللطم والصلب ، وبعد أن سال ما فى جسده من دم وماء ، وبعد أن جف حلقه حتى قال « أنا عطشان » . كيف يصرخ بصوت عظيم وقد لصق لسانه بحنكه ؟ !

ان صراخه فى ساعة الموت « بصوت عظيم » دليل على أن له قوة اخرى فوق قوة الناسوت ، اى دليل على لاهوته .

صراخه بصوت عظيم دليل على انتصاره ، لانه بالموت داس الموت وقهره . هذه الصرخة زعزعت الشيطان وقهرته .

حقاً كان فى موت المسيح نصرة ، نصرة الفادى الذى استطاع أن يخلص العالم كله ، ويسحق رأس الحية ...

وفى عبارة « فى يديك استودع روحى » طمأنينة عظيمة لنا من جهة خلود الروح . إنها لا تنتهى بالموت ... الموت بالنسبة لها مجرد عبور أو انتقال من حياة إلى حياة . انما المهم فى الموضوع كله هو : أين تستقر الروح بعد موتها . إن اطمأن الانسان على هذه النقطة ، استقبل الموت بفرح ، وقال : لى اشتهاء أن انطلق . .

وانت أيها الأخ : هل أنت مطمئن على مصير روحك ؟ هل عندما تلفظها — بعد عمر طويل — ستودعها فى يدى المسيح ، أو ستحملها الملائكة مثل روح لعازر ؟ أم سيقبض عليها الشيطان ويقول « إنها لى . كانت من جندى ، تعيش فى طاعتى ... لذلك سآخذها لتكون معى » يا للهول !! اطمئن يا أخى إذن أين ستذهب روحك .

وضع أمامك باستمرار تلك الأغنية الجميلة « **لتمت نفسى موت الأبرار ، ولتكن آخرتى كآخرتهم » (عدد ٢٣ : ١٠) .**

استودعها فى يديه من الآن بالبعد عن كل دنس ، وبالالتصاق كل حين بالرب . كن كملائكة الكنائس السبع الذين كان الرب ممسكا بهم فى يده اليمنى . ضع نفسك أنت أيضاً فى يدى المسيح . وتأكد أنه

سيسمعك صوته الجميل وهو يغنى « أنا أعطيها حياة أبدية ، ولن تهلك إلى الأبد ، **ولا يخطفها أحد من يدى** » . (يو ١٠ : ٢٨ ، ٢٩) .

وكلما تحاربك الخطية بفكر أو شهوة ، أسأل نفسك فى صراحة : هل روحى الآن فى يدى الآب ...



يا أبتـــاه فى يديك أستودع روحى

فاعليـــة هذه الكلمات

هذه الكلمات الغالية التى قالها المسيح على الصليب : فلنضعها نحن فى قلوبنا ، ولتكن ذات فاعلية فى حياتنا .. انقرأ كل كلمة منها فى إمعان ، ونتفاعل معها . . .

وسنضرب الآن مثالا لتفاعل القلب مع كلمتين منها :

- يا أبتاه اغفر لهم . . .

لقد علمنا الرب أن نقول فى الصلاة الربية « اغفر لنا خطايانا ، كما نغفر نحن أيضاً لمن أخطأ إلينا » . فأصبحت عبارة « يا أبتاه اغفر لهم » شرطاً لازماً للمغفرة ، لك أنت .

فلا يظن احد منكم انه يمنح المغفرة لغيره عندما يقول « يا أبتاه اغفر لهم » . فى الواقع انه ياخذ المغفرة لنفسه . لان شرط الغفران الذى تاخذه انت ، هو ان تغفر لغيرك . « اغفروا يغفر لكم » (لو ٦ : ٣٧) .

إن السيد المسيح عندما علمنا الصلاة الربية ، لم يعلق على أية طلبة منها سوى هذه الطلبة الواحدة ، وهكذا قال « فإنه إن غفرتم للناس

زلاتهم، يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (متى ٦ : ١٤ ، ١٥) .

لذلك فان لم تغفر أنت للآخرين ، انما تمنع المغفرة عن نفسك ، وليس عن الآخرين .

فإن قلت « يا أبتاه أغفر لهم » ، يرد عليك قائلا « وأنا أيضاً أغفر لك » . إذن فمغفرتك للناس أمر أنت مضطر إليه ، لكى تنال المغفرة أنت أيضاً ... **فالافضل اذن ان تغفر من أجل المحبة - كما فعل المسيح - بدلا من ان تغفر اضطرارا من اجل ان يغفر لك ...**

من الجائز أن هذه المغفرة تتعبك من الداخل ، ولا تكون سهلة على قلبك ... كيف أغفر لمن فعل بى كذا وكذا ، وأهاننى وأتعبنى وألصق نفسى بالتراب ؟ ! أقول لك : احتمل ... أنت فى الواقع فيما تعطى لهذا الإنسان المغفرة ، إنما تعطيها أيضاً لنفسك . فاغفر ، لكى يغفر الرب لك . وأقول مرة أخرى : ليتك تغفر عن حب ، وليس عن اضطرار .

السيد المسيح على الصليب تقدم لياخذ مغفرة من الآب عن كل خطايا البشر ، فغفر لصالبيه أولا .

وكأنه يقول للآب « سأغفر لهم كل ما فعلوه بى ، لكى تغفر أنت لى » ... ليس لكى يغفر له خطاياه ، فالمسيح بلا خطية (يو ٨ : ٤٦). ولكن يغفر له الخطايا التى يحملها ، لأنه « حمل الله الذى يحمل خطايا

العالم كله » (يو ١ : ٢٩) ، إذ قد « وضع عليه إثم جميعنا » (أش ٥٣ : ٦) .

قد تقول : كيف اغفر كل ما فعلوه بى . . . يكفى اننى صامت لا ارد الشر بالشر . . .

لا يا أخى . . . أن هذا الصمت لا يكفى . يجب أن تنتصر على نفسك من الداخل ، وتغفر .

وعندما تنتصر عل نفسك من الداخل ، وتغفر ، تكون قد صعدت عل الصليب .

وعندما تصعد على الصليب . تستطيع أن تقول « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه » (فى ٣ : ١٠) . لقد دخلت فى شركة آلامه ، صعدت معه على الصليب وغفرت للمسيئين لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون.

اليوم تكون معى فى الفردوس :

قل لنفسك : لكى اسمع هذا الوعد من المسيح ، ينبغى أن اقول كما قال اللص « نحن بعدل جوزينا » ...

إن اللص اليمين لم يعتف من الالام التى وقعت عليه ، إنما طلب مغفرة فى الأبدية . فكن مثله ، ولا تكن مثل اللص الذى طلب أن ينزل المسيح من على الصليب وينزله معه « يخلص نفسه وإيانا » . . .

مسكين هذا الجاهل ، إن فى نزول المسيح عن الصليب هلاكاً للعالم

أجمع . لو كان هذا اللص يسعى لخلاص نفسه ، لقال : انتظر يارب قليـــلا على الصليب ، من أجلى ، لـكى لا أهلك ... أرجوك يارب ، احتمل من أجلى ، احتمل حتى الموت لتدفع ثمن خطاياى ...

كن يا أخى روحانيا كاللص اليمين الذى فكر فى ابديته ، ولا تكن جسدانيا كاللص الشمال الذى فكر فى خلاص جسده فقط ..

ولا تهرب من الضيقات التى تقع عليك ، بل فى كل ضيقة قل عبارة اللص التائب « نحن بعدل جوزينا » ..

وكما تطلب من الرب ان يذكرك فى ملكوته : اذكره انت ايضا على الأرض ، والصق قلبك بمحبته ...

ولا تطلب أن يذكرك الرب فقط على الأرض بل فى ملكوته . ان كان فى الأرض مسامير أو صليب ، لا يهم . . المهم هو مصيرك فى الملكوت .

لا يهم ان نقضى حياتنا الأرضية هنا على الصليب ... انما المهم أن نكون مع الرب فى فردوسه ...

لا تفكر أن تنزل من على صليبك ، بل احتمل واصبر .

لقد قال الرب للص « اليوم تكون معى فى الفردوس » ، لأنه قبل إيمانه واعترافه وتوبته .

وانت ، هل قدمت للرب اعترافا وتوبة وايمانا ، حتى تستحق أن تكون معه فى الفردوس ؟

إن لم تـكن قد فعلت ، فابدأ من الآن ...

اشترك فى الآلام معه ، لـكى تتمجد أيضاً معه .

وتذكر ان عبارة « اليوم تـكون معى فى الفردوس » هى عبارة مشجعة جدا ، تمنع اليأس ، وتهب الرجاء .

إن كان اللص قد نال الوعد بالفردوس ، على الرغم من كل شروره وخطاياه ، فلا تيأس أنت مهما كانت خطاياك .

وإن كانت توبة اللص قد قبلت ، وهو فى آخر ساعات حياته ، فلا تيأس أنت إن كانت حياتك السابقة كلها قد أكلهـــا الجراد وضاعت هباءاً .

عبارة « اليوم تـكون معى فى الفردوس » تعطينا أيضا مثالا عمليا لسرعة استجابة الصلوات .

حالما قال اللص « أذكرنى يارب » ، أتاه الرد ســريعاً « اليوم تـكون معى فى الفردوس » ... إذن لا تمـــل من الصلاة والطلبة ، ولا تبرح من فمك عبارة « أذكرنى يارب ... » ... قلها فى كل حين ، ومن أعماق قلبك ، وبإيمان . وثق أنه سيستجيب .

لا تترك العدو يحاربك بالخجل ، حتى لا تطلب . ان العشار فى عمق خجله ، قال « ارحمنى يارب » . واللص وهو عارف بخطيئته ، قال « اذكرنى يارب » ..

هكذا نحن أيضاً ، مع أن الخزى يغطى وجوهنا بسبب خطايانا ، ومع أنه ليس لنا وجـــه نرفعه إلى الرب ، وليست لنا دالة ولا حجة

ولا معذرة ، إلا أننا من أجل حنانه هو ومحبته وغفرانه ، سنظل نقول عبارة « أذكرني يارب » ، إلى أن ننال منه الوعد بالفردوس ...

ان الرب لم يكتف فقط بان يعطى اللص وعدا بالفردوس ، وانما بالأكثر اعطاه وعدا ان يكون معه . لان أهم ما فى الفردوس أن نكون مع الرب ...

نعم ، إن الفردوس بدون الرب لا قيمة له ، ولا نعيم فيه ، ولا يصح أن يدعى فردوساً ... إن النعيم الحقيقى هو أن نكون مع الرب ... يكون الرب وسط شعبه . يتمتعون به ، بحبه ، وبصحبته ، وبنوره ... وبأبوته ، وحنانه ...

لذلك لا تطلب الفردوس ، بل أطلب الرب نفسه ...

أطلب أن تكون معه ، تتأمل وجهه المفرح البشوش ، كما قال داود : « لوجهك يارب التمس . لا تحجب وجهك عنى » ...

والعجيب فى قصة هذا اللص ، أنه أخذ وعداً بالوجود مع الله فى الفردوس ، على الرغم من أنه لم يعش مع الله على الأرض ...

بل بمجرد ساعات قليلة قضاها مع الرب حسنا ، استطاعت أن تمنحه صحبة الرب الى الأبد . لأنها كانت ساعات ذات عمق ، عمق شديد ، وصل به الى اعماق قلب الله ...

ليس المهم إذن فى طول الوقت الذى تقضيه مع الرب ، بل فى عمقه . كلمة واحدة بعمق تقتدر كثيراً فى فعلها ... قل هذه الكلمة ...

وعش فى عمق الصلة ، لتصل إلى أعماق الله ...



الثمن ٨ مـ.

مطبعة الأنبا رويس ت ٨٢٠٦٨١

